فن الشعر لهوراتيوس

بحث وترجمة

فاطر سالم سيف

النقد الأدبي

لن نعنى بتعريف النقد الأدبي تعريفاً يحدد ماهيته ويكشف عن وظيفته فإن الباحثين فى النقد الأدبي يختلف تعريفهم له اختلافاً يحدده تطور الثقافة واتساع المعرفة وتبصر الناقد بالأساليب الأدبية على اختلاف ضروبها وألوانها . ومن هنا كان .

ونحن دائما نتحدث عن تاريخ النقد فى العالم القديم فإن دقة البحث وعمقه يقتضيان أن ندرك شيئاً ما عن ماهية النقد عند القدماء ووظيفته بين النقاد منهم . ولا نكاد نظفر بتعريف له فيما خلفوه من آثار أدبية غير أن مجموعة النظريات التى جاءت أثناء بحثهم ودراساتهم قد تحدد النقد الأدبي تحديداً يكشف عن إحساسهم بالجمال ، وتقديرهم له كالذى يتوسل به إلى كون النص الأدبي جديراً بالتقدير مؤثراً فى النفس ، مثيراً فيها مختلف العواطف والإحساسات المتعددة ، ومن هنا لم يكن النقد الأدبي عندهم علماً مستقلاً أو فرعاً من الدراسات متميزاً بل كان نتاجاً فرعياً لعلوم مختلفة قد مستها الحركة الفكرية كالفلسفة والبلاغة وعلم النحو إلى آخر ذلك . لذا نجد النقد فى عصره القديم الأول إشارات عابرة فى كتابات هوميروس وهسيودوس كما نلمسه فى الأحكام الأدبية التى تصدر فى الإنشاد والمباريات الغنائية التى أصبحت وسيلة فنية معترفاً بها أيام هسيودوس ثم نراه فى صورة مناقشات عن وظيفة الشعر وأهدافه ، هل هو للمتعة كما يعتقد هوميروس أم هو للتعليم والنفع كما يراه هسيودوس .

وفى القرن السادس ق. م تطور النقد تطوراً يتجاوب مع تقدم الفكر اليوناني فهو ثورة فكرية قام بها الفلاسفة الأيونيون تزعمها الشاعر الفيلسوف

كسينوفانيس الكولوفونى ضد أساطير هوميروس التى تنسب إلى الآلهه والآلهات كل رذائل الإنسان فهو لذلك ملحد ولابد أن يعاقب على إلحاده . وقام تطاحن بين الفلسفة والشعر فأنتج الرمزية التى حاول بها بعض الشعراء والفلاسفة إصلاح ذات البين وتفسير الأساطير بما تتضمنه من معنى باطنى فعراك الآلهة مثلا يرمز إلى الصراع بين الخير والشر وسهام أبولو ترمز لأشعة الشمس .

ثم ازدهر الأدب فى القرن الخامس ووصل إلى قمته ودرس الشعر كفن وقام بنداروس يتحدث عن قوانين الفن، وقوانين الترتيل ويصدر أحكاماً على القيم الخاصة بالإلهام وبفن الشعر فالشاعر يرتكز على الإلهام والموهبة الطبيعية أما الفن فهو عديم الفائدة فى نظره .

وقام شعراء الكوميديا ينتقدون التقاليد والسياسة والأدب والفن والدين ويصدرون أحكامهم على المسائل العامة المحيطة بهم وأخذ السوفسطائيون أمثال جورجياس بلوسون الخطابة والبلاغة كل هذا ساهم مساهمة فعالة فى التمهيد لظهور النقد كعلم مستقل .

وتتحدد البداية العلمية الجدية للنقد بمسرحية الضفادع لأرسطوفانيس التى تتلخص فى أن ديونيسوس إله المسرح صمم على الذهاب إلى عالم الآخر ليعود بشاعر مأساة إلى الأرض يعيد إلى المأساة مجدها الضائع فقصد بلوتو وعلم منه أن مناظرة توشك أن تتم بين أيسخيلوس ويوريبيديس من أجل ارتقاء عرش المأساة وما أن بدأت المناظرة حتى أرهف ديونيسوس السمع وتملكته الحيرة للهجوم الذى كان يشنه كل من الشاعرين على الآخر وكان على ديونيسوس أن يصدر حكمه ويفضل أحد الشاعرين وجىء بموازين ووزنت أشعار المتناظرين وهنا رجحت كفة أيسخيلوس ومع ذلك تردد ديونيسوس فى النطق بالحكم فهو يعجب بيوريبيديس أيضاً وأخيراً فضل أيسخيلوس على يوريبيديس ورجع إلى سطح الأرض فرحاً مسروراً .

ثم جاء أفلاطون ولعب دوراً هاماً فى تاريخ النقد فهو صاحب النظرية المثالية فى الفلسفة التى حاول بها أن يفسر ظواهر الوجود المختلفة ويظهور أفلاطون بهذه النظرية الجديدة وبتطور فن النثر جد مرحلة جديدة فى تاريخ

النقد. فقد ظهرت فى كتابته لأول مرة مجموعة من القواعد الأساسية التى تحدد طبيعة الشعر ووظيفته كما تتناول الفن وتكشف عن جوهره .

ونقل هذه الأصول النقدية التى تطورت عند أفلاطون والتى ضمنها كثيراً من تجربته الفلسفية والنفسية فوائدها عمقاً وأصالة ، كان لها أثرها فى تلميذه أرسطو وعليه اعتمد فى كتابه فن الشعر . وقد حاول أرسطو فى هذا الكتاب أن يحدد طبيعة الشعر ووظيفته الجمالية وأثره النفسى كما أنه تحدث فيه عن أنواع الشعر كالمأساة والملهاة مبيناً أصول كل منهما وإن كان قد اختص حين قسمه للمأساة فتحدث عن روعتها وعاطفتها وجوانبها المتعددة وكان نقده لأدق حتى عصر أرسطو ثمرة لبيئة يونانية خالصة وتجارب شخصية وعبقرية وحده فيما فقدت كل عصور الأدب التالية فى عالمها السياسى أسباب الحياة لتقدم تعبيراً صادقاً عن حياة جديدة ومكنت الشعر والنقد على السواء الأدب وضروبه [illegible] إلى رجال مثل هوراس وبوالو وإلى الكلاسيكية وما [illegible] عصر النهضة .

ولا يستطيع عصر [illegible] أن يجمع [illegible] كتب مفقودة [illegible] من كتب أرسطو [illegible] هوراس لا يزيد على [illegible] .

[illegible] عصر النهضة [illegible] أن تكون [illegible] فى أثينا [illegible] عصر [illegible] ظهور المذاهب [illegible] الأدب [illegible] عصر [illegible] مكتبة الإسكندرية [illegible] إلى إثبات مذاهب [illegible] وإثبات [illegible] من الأدب كالإجراء [illegible] والإبداعيات [illegible] إلى اكتشاف [illegible] فى الأساطير فكان عصر

ازدهار النحاة والشراح واللغويين . وقد تزعم كاليماخوس مدرسة الشعر فى الإسكندرية كما تزعم حركة النقد فيها وقد امتاز بآرائه الأدبية التى جاهر بها وأعلنها فى الناس وكان من رأيه أن يدع الشعراء فن الملاحم وأن يتجهوا إلى القصيدة القصيرة بنوع خاص وألا يسرفوا فى المحاكاة بل عليهم أن يعنوا بصقل ما أنتجته قرائحهم حتى يتوافر لإنتاجهم عنصر الأصالة . ومن أشهر أقوال كاليماخوس فى النقد « إنى أكره القصيدة الطويلة وأكره الطريق العام الذى سلكه كل فرد . والكتاب الكبير عبء فى التوقع ».

واشتهرت فترة العصر المتأخر أيضاً بنشر نصوص هوميروس ونقدها ونصوص كتاب المسرحية والشعر الغنائى ومن أهم العاملين فى هذا الحقل أراتوستنيس وأريستوفانيس البيزنطى وأرستارخوس وزينوس وغيرهم من معاصرى ليتودوتوس المتأخرين . ولا نغفل أيضاً زينوس رجل البلاغة والنقد الذى اكتسب شهرة واسعة فى دراسته لهوميروس ونقده له على ضوء العصر الهوميرى وقد كان هذا العصر عصر شجار بين القديم والحديث، ورغم أن فهم علمائه له غير واضح المعالم إلا أنه يكون مرحلة توحى بنتائج هامة لتاريخ نقدى متأخر .

بعد موت ثيوفراستوس عام ٢٨٧ ق. م. انتقلت مؤلفات أرسطو إلى نليذ له أخفاها فى كهف حتى لا تمتد إليها يد آل أتالوس الذين اتصفوا بجنون الكتب وظلت هذه النصوص غير معروفة حتى عام ١٠٠ ق. م. حين اكتشفت ونقلت إلى أثينا وظلت هناك حتى نقلها سُلا إلى روما عام ٨٦ ق. م. ثم أخذ المشاءون يقتنون ويحددون بطريقتهم الخاصة النظام الذى كان قد حدد معالمه أرسطو .

ويمكن الوقوف على مدى تحول النقد فى مرحلته الثانية من كتاب فن الشعر للمشائى نيوبتولموس الپارى الذى اكتشفت آراؤه حديثاً فى أجزاء من بردى محروقة والذى تأثر به الفيلسوف الأبيقورى فيلوديموس وقد تناول موضوع الشعر بطريقة منهجية تحت رءوس الموضوعات الآتية : (فن الشعر

القصيدة – الشاعر) وقد عرض الأدب فى هذا الكتاب عرضاً متزناً وتناول أنواع الشعر القديم والخصائص المميزة له وأصوله وناقش بعض القضايا الأدبية مثل أيهما أكثر أهمية للشاعر . أهى الفكرة أو الأسلوب وبالتالى ماهدف الشاعر أو الأديب أهو التعليم أو المتعة ؟ وهو فى كل هذا يبين الوسائل التى تعين الشاعر أو الأديب على بلوغ الغاية من فنه ، وقد أثبت هذا الكتاب كما أثبتت آراء فيلوديموس الذى تأثر به أن ما وصل إليه اليونان القدماء من فنون الشعر المختلفة لن يخضع لتغير جوهرى أو تبديل بل إنها نماذج ثابتة قوية ينسج الأديب على منوالها ويحتذى آثارها . وبعض القضايا الكبرى التى أثارها القدماء مازالت تناقش اليوم فى مصادر النقد الأدبى فى العصر الحديث منها هدف الشاعر ووظيفة الشعر . وعلى العموم وجه النقاد والأدباء همهم إلى صيانة التراث اليونانى القديم وخصوصاً التراث الفنى وشرحه والتعليق عليه وضبط نصوصه .

تلك هى الملامح العامة لحياة النقد الأدبى عند اليونان وهى التى تركت أثرها فيما بعد فى النقد العربى حين ترجم بعض هذا التراث إلى اللغة العربية فى العصر العباسى وتأثر به الأدباء العرب واتبعوا نهجه وأقاموا أحكامهم النقدية والأدبية على هدى منه ثم انتقل ذلك التراث إلى الغرب فأحيى من جديد .

ولم ينته النقد الأدبى من حيث هو فن له أصوله وقواعده فى العالم القديم بانتهاء العصر المتأغرق بل إن حياته امتدت وتطورت تطوراً ملحوظاً عند الرومان وهم ورثة الحضارة الإغريقية وحفاظها .

ولو أن الباحث فى تاريخ النقد فى هذه الفترة أراد أن يتحدث عن ملامحه العامة ويكشف الإضافات الجديدة التى أضيفت إلى التراث القديم لوجد أن النقد اتجه وجهة أخرى تبعاً لنوع الثقافة وطبيعة الحياة الأدبية والفكرية التى كان يعيشها الرومان . والمعروف أن الرومان لم يكن لهم استعداد قوى للدراسات الفلسفية كذلك الاستعداد الذى وجدناه عند اليونان ولكنهم

مع ذلك يمتازون بعقلية قانونية قادرة على تشكيل الموضوع تشكيلا له قواعده وأصوله المنضبطة المحدودة ومن هنا اتجه الرومان إلى تقنين النقدالأدبي مترسمين في إنتاجهم الفني آثار اليونان القدماء .

ويعرف هذا العصر لاني تاريخ النقد وحده بل في جميع مظاهر الحضارة الرومانية بالإغريقي الروماني فبعد أن صارت روما سيدة البحر الأبيض واتصلت بالفكر اليوناني وحضارته انتقلت مراكز الثقافة من الإسكندرية وغيرها من مراكز العصر المتأغرق إلى روما فسيادتها ساعدتها على تبوء هذا المركز الممتاز .

وقامت حركة النقد على يد الفلاسفة أمثال بنايتيوس الذي ناقش الأساليب المختلفة ما هو مباشر وما هو صنعة وخصائص كل منهما وما تمت إليهما من قضايا أدبية ونحوية ولغوية كما أسهم في بلورة النقد مؤرخو هذه الفترة أمثال بوليبيوس وكتاب المسرحية أمثال نيفيوس أندرونيكوس وناينيوس وبلوتوس وترنتيوس الذين سروا على نهج الملهاة الإغريقية في أداء رسالتهم من نقد اجتماعي وأدبي وسياسي وقد عرّض النقد السياسي البعض منهم للنفي كما حدث لنايفيوس . فلم تكن الجمهورية تسمح في ذلك الوقت بالتعرض لتقاليدها ونقد رجالاتها ، وعلى الرغم من هذا لم يقف كتاب الملهاة عاجزين بل لجأوا إلى الباليانا ينفذون من خلالها إلى أهدافهم .

ويتميز ترنتيوس من بين هذه الأسماء بأنه نقد الأساليب الجوفاء في عصره وثار على الترجمة الحرفية للملهاة الإغريقية وثار على الغموض الذي كان يعتري بعض المسرحيات نتيجة حرفية النص وطوّر الملهاة تطويرا لم يعرفه الرومان من قبل . وبهذه الملاحظات وغيرها ألف ترنتيوس ما يشبه نظرية متكاملة في النقد الأدبي وهي نظرية تكشف عن القواعد والأحكام المتصلة بفنه باعتباره شاعرا من شعراء الملهاة المجددين فيها .

هكذا نرى مولد النقد الروماني حتى جاء شيشرون . وقد كان موضوع النقد في هذه الفترة يتصل بالخطابة وقد ترك شيشرون أبحاثاً متفرقة عن هذا

الفن إذ كان خطيباً يعالج هذه الصناعة ويفنن فيها وهو في أبحاثه لم يقنع بالقواعد المدرسية الجافة وإنما اتجه إلى دراسة الأصول كأفلاطون وأرسطو وثيوفراستوس وغيره من فلاسفة الإغريق وخطبائهم وحاول أن يهتدي بأعمالهم وآثارهم ولكنه في الوقت نفسه حاول التجديد والتبسيط وهو يحاول في دراساته المتعددة أن يتبع القواعد وعدد الأصول التي يتوافر بها للخطيب البراعة والقدرة على اجتذاب الجماهير فضلا عن أن الخطابة وسيلة ناجحة لعرض مظاهر النشاط الفكري وهو لذلك يؤكد أن لغة الكلام هي الفصل بين الإنسان والحيوان وأن القدرة على الإقناع هي التي منحت الإنسان حياة أفضل من ناحية إقامة حياة مدنية منظمة تحرسها القوانين والشرائع . ولم ينس شيشرون أن يربط بين جمال الأسلوب ووضوح الفكرة وهو يرى أن الفصاحة تكون دائماً نتاج الترابط بين هذا الجمال والوضوح على أنه يرى أيضاً أن الفكرة يجب أن تسبق الكلام من ناحية ترتيبها والتأمل في مضمونها ثم إنه يؤكد أن نجاح الخطيب يتوقف على إدراكه لطبيعة النفس الإنسانية ودراسة ميولها ورغباتها حتى تكون لغة الخطيب متسقة مع عواطف الناس وإحساساتهم وحتى ينجح الخطيب في إثارة الناس ، وإذكاء حماسهم لما يقول وانفعالهم به واستجابتهم له ، وعلى ذلك حدد شيشرون واجب الخطيب في ثلاث كلمات وهي أن « يمتع ويعلم (١) ويثير » . كذلك يقرر أن نجاح الخطيب وبراعته تتوقفان على توافر الملكة والقدرة الطبيعية وهذه الملكة في رأيه يمكن أن تصقل وتهذب بالمران والتدريب والدراسة الحرة الأصيلة وقد تأثر في هذه النظرية بأفلاطون وبغيره من قدامى اليونان ولم يقف تأثره عند هذا الجانب بل تعداه إلى ما يجب أن يكون عليه سلوك الخطيب وهو أنه يجب عليه أن يضيء في خطابته النزاهة والبراءة . وكان ما دفع شيشرون إلى إثارة كل هذه النظريات حول الخطابة وأصولها وتأثيرها في النفس ، وصفات الخطيب وثقافته ، أن يعمل على تهيئة الظروف الممكنة لأن يكون الخطيب بالغاً القمة في فنه فكان يهدف إلى الجانب المثالي من الخطابة .

---

(١) راجع :
Cicero, De optimo genere oratorum, 3, (optimus est enim orator qui dicendo animos audientium et delectat et docet et permovet.

وبهذه الدراسات المختلفة احتل شيشرون مركزاً (١) كبيراً فى حياة النقد الأدبى على العموم وفى حياة النقد الأدبى الرومانى على الخصوص كما أنه كان من أكبر الناعين إلى دراسة الأدب اليونانى فى مهده الأول دون العصر المتأغرق ، وبهذه النظرة بدأت دعوة جديدة إلى إحياء التراث اليونانى القديم ومحاكاته والتأثر به وذلك لأن هذا التراث هو الذى يتوافر له عنصر الأصالة ، والعبقرية دون سواه من العصور التى تلت . وتلا عصر الخطابة والنثر الشيشرونى عصر الشعر فى عهد أوغسطوس فرأت روما عصراً لم تشهد مثله فى تاريخ أدبها القديم فقد تبلور الأدب واكتمل وتفرع وبلغ الذروة وقمة المجد فى فروعه المختلفة شعراً ونثراً . وقام به شعراء هذا العصر معروف وغنى عن التعريف . وفى مجال النقد نجد حركة ونشاطاً لم يسبق لها مثيل فنقاد هذا العصر من شعرائهم وكتابهم لم يتركوا فرعاً من فروع الأدب إلا نقدوه وقيموه وفقاً لتفكيرهم

ولو تعمق الباحث فى خطوات تشكيل النقد فى هذا العصر فلن يغفل ذكر ما بكيناس الذى ضم تحت جناحه كل ما هو جدير بتأدية رسالة الدولة واختار من بين الشعراء والكتاب من توفرت له موهبة حقة وقلم نفاذ كأعضاء لجنته المشهورة يوجههم ترجيهاً سديداً فى اختيار مادة الكتابة وفى صقل الأساليب وغير ذلك حتى يؤدوا رسالتهم على الوجه الأكمل ولاشك أن ما بكيناس بتصرفه هذا أسهم فى حركة النقد وفى ازدهارها .

ولكن النقد لم يتشكل تشكيلاً حسناً لأخير إلا بظهور هوراتيوس فى عالم الأدب وقد مهد له فى أهجيته ورسائله بإشارات وعالج بعض القوانين المختلفة ثم توج آراءه المتفرقة فى كتابه مؤلف خاص بالنقد يتضمن قوانين عن الشعر ويعرض المسائل الأدبية عامة .

---

(١) يرى Saintsbury غير هذا الرأى فشيشرون فى نظره لم يكن ناقداً . إذ أنه لم يهتم بنقد كتاب أو شعراء عصره أمثال لوكريتيوس وقد نشر كتابه المشهور De rerum natura

Saintsbury, History of Criticism and Literary Taste (Cicero page 212 Seqq).

ونصوص هوراتيوس النقدية الهامة هي هجاؤه الرابع والعاشر من الكتاب الأول وهجاؤه الأول من الكتاب الثاني ورسالته إلى أوغوسطوس وإلى فلوروس ثم رسالته إلى بيزو أو فن الشعر .

وفي هجاء هوراتيوس الرابع من كتابه الأول الذي كان يدافع به عن نفسه وعن شعره يتكلم عن الحرية التي تتمتع بها شعراء الملهاة الإغريقية القديمة في نقد زان أو سارق أو ما أشبه ويطالب باستعادتها في الهجاء ، ولعل هذه المطالبة تتضمن طلباً لحرية النقد أيضاً فالهجاء ناقد للحياة في مظاهرها المختلفة . ثم نراه يعرض لمشكلات أدبية فيوجد الصلة بين لوكيليوس مبتكر الهجاء الروماني وبين شعراء الملهاة القديمة فيربط بهذه الصلة بين الهجاء وبين الملهاة ثم ينتقد لوكيليوس ولا يخيل إرخاؤه لسيل من الأبيات في زمن قصير ولا يقبل خشونة أسلوبه وعدم صقله ويتعرض للهجاء عامة أهو شعر أم نثر أهو شخصي يؤذي الأفراد أم اجتماعي ينقد الحياة المحيطة ثم المسرحية أهي شعر أم نثر ويجيب هوراتيوس بأسلوبه الممتع على كل هذا ، فالهجاء في نظره ليس شعراً رغم تقيده بالوزن والشاعر لابد له من موهبة وروح إلهية . والهجاء ليس شخصياً إلا بقدر دفاع عن نفسه فهو لا يسب ولا ينتصف بنفس سوداء قاتمة ، والهجاء اجتماعي يبرز المساوئ . وهي عادة أخذها عن أبيه حين كان يقوم أخلاقه بما اكتسبت أوصافه على الأفراد فليس الذنب ذنب الهجاء بل الأشخاص أنفسهم وإن عطر من روفوس الذي تفوح رائحته الشهية كما لو كان زجاجة عطر متحرك فليس هذا سبباً منه وله الحق في أن يسخر .

والكوميديا في رأيه ليست شعراً إذ ينقص كلماتها ومعانيها قوة الوحي وحرارته ، لا تختلف عن الكلام النثري إلا في تقيدها بالأوزان والإيقاع . وقد يعترض معترض على هذا الرأي ويرى قوة في الملهاة حين يخجل الأب من رفض ابنه الزواج من مرأة فقيرة لأن له عشيقة ، ويجيب هوراتيوس إن ثورة الأب عاطفة طبيعية ولو تخلصنا من قيود الوزن لأصبحت كلماته نثراً يقوله كل أب في مثل هذا الموقف .

وإذا رجعنا إلى الهجاء العاشر من نفس الكتاب نجد المزيد فقد أثار هجاؤه الرابع النقاد فكيف يجرؤ على نقد لوكيليوس الذي هو جزء من تراثهم

القديم ويصمم هوراتيوس على موقفه الأول ويقول إنه يحترم لوكيليوس ويتخذ منه مثالا يحتذيه ولكن أى معجب بلوكيليوس لا يستطيع أن ينكر عليه أخطاءه ولو تسامح عن أخطاء لوكيليوس لاعتبرت هزليات لابيريوس شعراً ممتازاً .

والهجاء فى نظره فى حاجة إلى الاختصار حتى لا يمل السامع وحتى تجرى الفكرة دون عائق والهجاء فى حاجة إلى أسلوب يتراوح بين الجد والمرح والهجاء خطيب أحياناً وشاعر أحياناً أخرى وهو فى حاجة إلى الصقل والضحك والسخرية ، والسخرية المصقولة لها قدرة فى التأثير عن الجد فبهذه السخرية نجح شعراء الملهاة ويجب أن يتقلدهم الهجاء .

وفى الهجاء الأول من الكتاب الثانى يعود هوراتيوس للمرة الثالثة للدفاع عن نفسه متخذاً من هذا الدفاع وسيلة لتعريف آرائه النقدية . وهو يطلب النصح من ترياتيوس فشعره فى عرف بعض فوق الحد القانونى وفى عرف البعض الآخر خال من الروح وينصحه ترياتيوس أن يترك الشعر أو يكتب الملاحم (إذا كان ترك الشعر مستحيلا) . فإذا استمر فى كتابة الهجاء فسوف ينفض عنه أصدقاؤه أو يعاقبه القانون على أشعار تسىء إلى الأفراد . ولا يأخذ هوراتيوس بهذا النصح وسوف يكتب الهجاء فقد كتب لوكيليوس قبله ولم ينفض عنه أصدقاؤه وسوف يكتب الهجاء دفاعاً عن نفسه لا للهجوم على الناس وإنه لن يكتب سيئ الشعر جميلا يوافق عليه أوغوسطوس .

ونرى خلال الحوار بين الشخصيتين أن هوراتيوس أشار إلى وجود قانون لكل فرع من فروع الأدب ثم بين الكتابة فى أى فرع ترجع لميل الكاتب ومقدرته كما أشير جانبيا من عنصر الشخصى للهجاء وهو الدفاع عن النفس فليس هجاؤه سيئ يكياه على الأفراد بل شعر جميل ينقد به من يستحق اللوم فجمع هوراتيوس بهذه الطريقة الهدف الشخصى والاجتماعى من الهجاء . ويرى بعض (١) النقاد الأصالة فى بعض هذه الأهجيات وهذا

---

(١) يعتبر بعض النقاد أهجيات هوراتيوس ورسائله النقدية أكثر أهمية من فن الشعر ويرون أن الهجاء الرابع والعاشر من الكتاب الأول أكثر أصالة إذ كتبهما قبل أن يتصل بنيوبتوليموس راجع : Saintsbury, History of Criticism and Literary Taste page 228

حق فنقد هوراتيوس للهجاء وتشكيله قوانينه لا نجده عند الإغريق ولا نجده عند نيوبتوليموس كما أن صلة الهجاء بالملهاة لم يعالجها الإغريق أيضاً وهذا واضح إذ أن الهجاء رغم تأثره بالإغريق ، رومانى فى نوعه ابتكره لوكيليوس .

ويتخذ نقد هوراتيوس فى الرسالتين مظهراً آخر . ففى رسالته لأوغوسطوس يقول هوراتيوس إن الرومان يبجلون الأبطال بعد وفاتهم ولكنهم يبجلونه فى حياته وهذا المبدأ الذى سلكوه معه لا يطبقونه إلا عليه فهم فى الأدب لا يقدرون إلا ما هو قديم . إن التقدير يجب أن يكون للقديم والمعاصر على أساس غير أساس الزمن فلم يكن القدماء على درجة من الكمال وليس كل قديم له قيمة فنية وقد يأتى شاعر حديث بما لم يصل إليه القدماء ، والتمسك بالقديم لأنه قديم لا مبرر له . إن الذوق يتطور بتطور الأزمنة فما قبله الذوق بالأمس قد لا يستسيغه اليوم ، والمتطرفون الإغريق فيه يغرون تسليتهم كالأطفال من وحدة إلى أخرى فقد شغفوا بالمصارعة ثم بحث والرسم والموسيقى ثم المأساة ولكن الرومان كانوا أكثر جدية منهم فلم يكرسوا حياتهم للأعمال العامة ولم يهتموا بالشعر والكتابة إلا حديثاً كما يفعل هو بنفسه . ولئن كان الشغف بالكتابة له خطوره فضلا عن هذا أنه جنون خفيف فإن له فى الشعراء ارتقوا بتربية النشء وضعوا النفوس تمارين رحيمة وخلصوا الحين بعد حين ، إن الإغريق فضل عقل الرومان وتهذيبهم . والرومان ميال وأكثر قابلية للمأساة منهم للملهاة ولكن كتاب المأساة أمثال بلوتوس لهم أخطاء كثيرة ولا يحكم عليهم بما يلقونه من تصفيق الجماهير فهو لا يعترف بحكم الجمهور الذى يطلب المصارعة ويعنى بما يسر عينيه من ألوان وملابس أكثر مما يعنى بالمسرحية ، فلو كان ديموقريتوس حياً لضحك من هذا الجمهور الذى يصفق للممثل قبل أن يتفوه بكلمة . وهو بنقده هذا لا ينقص من قيمة فن لا يستشيع ممارسته ولكنه يطلب الكمال ، يطلب الشعر الذى تعرف روحه بتكريره .

ورسالة هوراتيوس إلى صديقه فلوروس تضيف إشارات عن الشاعر وكتابته . يقول هوراتيوس بعد أن شرح لصديقه أسباب عدم الكتابة إليه ، إن موضوع كتابه الشعر الجيد موضوع جاد يتطلب ذوقاً وعناية فى اختيار

لغة مهذبة وقد تبدو نتيجة هذا الاختيار سهلة ولكن هذا السهل نتيجة عمل مضن طويل ، ثم ينهى هوراتيوس رسالته بإبداء رغبته فى الاتجاه إلى الفلسفة ويتحدث عن الثروة والملكية والبخل .

تلك هى الخطوط العريضة للعوامل والعناصر التى بلورت النقد فى تاريخه القديم ومهدت لظهور "فن الشعر" الذى يعتبر المؤلف الرومانى الوحيد فى عالم النقد الرومانى .

ويقع فن الشعر فى الجزء الأخير من حياة هوراتيوس وإن لم يعرف على وجه التحديد تاريخ تأليفه . يعتقد البعض أنه نشر قبل وفاة هوراتيوس بقليل (١) وهذا يعنى أنه نشر عام ٨ ق. م. ويرى البعض الآخر (٢) أن تأليفه لايمكن أن يقع بعد عام ٢٦ ق.م ويرى البعض الثالث أنه كتب عام (٣) ١٩ ق. م. ولم يقف النقاش عند هذا الحد فهناك آراء أخرى فى هذا الصدد نورد منها على سبيل المثل رأى الأستاذ ... ى كامبل الذى يظن أن فن الشعر (٤) كتب بين عامى ٢٣ — ٢٠ق. م. واختلف علماء العصر الحديث فى نوع تأليف فن الشعر فاعتبرها فسك نوعاً من أنواع الأبيجوجية ويعرف بوردن (٥) هذا النوع من التأليف بأنه كتيب صغير لقوانين معدة للاستعمال وضعت لتحكم أى فرع من فروع الفن أو العلم رتبت وفقاً لنظام بلاغى وقسمت إلى قسمين كل منهما يمت إلى الآخر بصلة الأول هو فن والثانى هو فنان . وتكتب الأبيجوجية عامة إما فى شكل أسئلة وأجوبة القصد منها الإرشاد أو تعليم أو فى شكل حث يلقن فيه خبير فى فن أو علم قوانين هذا الفن أو هذا العلم وتعاليمه تلميذه المبتدئ ليشجعه على دراسة عميقة صحيحة . ولقد تأثرت الأبيجوجية بالبلاغة الرواقية تأثراً كبيراً خاصة

---

(١) ، (٢) راجع : A. Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica Page 30

(٣) راجع اللغة اللاتينية حياة هوراتيوس (م.السلاموني . عبد اللطيف أحمد الى آخر ذلك) ص ١٢٩

(٤) راجع : H. R. Fair-Clough, Horace, Satires, Epistles and Ars Poetica footnote page xiii

(٥) راجع Fiske, Lucilius & Horace, Page 446

فى تطور تخطيطها وفى تقسيمها بل تعتبر الأيسجوجيات أمثلة للانتقال من البلاغة الرواقية إلى فن معين أو علم تعالج فيه نظريات مصوغة لهذا الفن أو العلم .

ويرى بعض الكتاب والنقاد أن «فن الشعر» بحث ، ولقد كان لهذا الاعتبار أثر كبير فى توجيه نقد قاس لهوراتيوس فى القرن السادس عشر والثامن عشر فقد كان لزاماً أن تتوج هذه القصيدة تاج هوراتيوس الأدبى بهالة من فنه الرائع وأن تكون مرآة تعكس نضوجه الفكرى وتجاربه وأن يطبق عليها تلك القواعد التى أملاها على غيره فى التأليف فهى فى نظرهم مفككة الأجزاء وليست بحثاً منظماً لا على الشعر عامة ولا على الشعر المسرحى خاصة يسودها الشرود والإسهاب. ولم ينتقد هوراتيوس فى تلك القرون من يدافع عنه فقام المعجبون بكتاباته ونادوا بأن هوراتيوس لم يقصد كتابة بحث عن الشعر عامة أو الشعر المسرحى خاصة وما هى إلا ملحوظات قليلة دونها لصديق لينتفع بها فهدموا بذلك أساس الاتهام وإن لم يتمكنوا من الدفاع عن جميع المآخذ التى وصمت بها فاز ان انتقد مسلطاً عليها فى العصر الحديث حتى لدى المعتدلين من النقاد أمثال سانتسبرى .

يقول سانتسبرى فى هذا الصدد « وواضح أنه لا يليق بنا أن نضع عليه سرجاً ملتاثا بالاستنباط والتعليقات التى نسبها إليه نقاد القرن السادس عشر والثامن عشر والتى أثقلوه بها فكثير من الأحيان لا يستحق هوراتيوس منهم هذا الموقف ولم يكن سبباً فى إثارتها ولكن رغم هذا التساهل العادل الكريم تتعرض القطعة لنقد شديد . أولا إن عدم ارتباط الموضوع مبالغ فيه وفيه نوع من الإسراف ويجب أن نسمح بحرية من هذه الناحية لمن يمزج بين النافع والسار بواسطة شعر تعليمى ولكن أية حرية تعطى لهوراتيوس لن تكفى لتغطية طريقته التى يمكن تسميتها باللاطريقة (١)». ووجه بروكس نقده على هوراتيوس لا فى فن الشعر فحسب بل فى كثير من كتاباته الأخرى فهو يرى أن أجزاء من هذه الكتابات لا تتأثر بالنظريات والقوانين التى تنادى

---

(١) راجع : Saintsbury, History of Criticism and Literary Taste, Page 224.

بها إذ أن هوراتيوس ينسى نفسه كصاحب نظريات نقدية ويتمسك بأى لون من النفع فى كتابة apologia poetae وعلى هذا فقد عرض بروكس نظريات هوراتيوس وبيّن ما فيها من مرونة أو مآخذ .

والرأى الأخير فى نوع تأليف «فن الشعر» هو الذى نادى به المتحمسون لهوراتيوس والمعتدلون من النقاد فهى فى نظرهم رسالة أهداها إلى صديق له من آل بيزو لينتفع بها ربما ليحذره من كتابة شعر أو مسرحية تتفق وقوانين الدراما الساتورية الإغريقية إذ أنها محاولة غير مجدية(١) وقد انتهز هوراتيوس هذه الفرصة لينقد الكثير من المسائل الأدبية وليجمع الكثير من قواعد النقد والقوانين المعروفة حينئذ .

ولم يتفق علماء هذا العصر على من قصده هوراتيوس بهذا الإهداء فقد كانت فى عصر هوراتيوس أسرتان باسم Piso : الأولى أسرة Lucius Calpurnius Piso الذى ولد عام ٤٨ ق. م وكان قنصلا عام ١٥ ق. م وولديه Lucius - Gaius والثانية أسرة Gnaius Piso الذى كان له ابن واحد أرسله الإمبراطور Tiberius إلى سوريا عام ١٧م وانقسم الشراح والعلماء إلى قسمين فمنهم من يزعم أنها لأسرة الأولى ومنهم من يفضل القول بأنها الأسرة الثانية ولكل منهم أدلة لا تصل إلى درجة اليقين والراجح أنها أهديت لآل Lucius Calpurnius Piso لعدة أسباب : كان أعضاء هذه الأسرة ولدان وعائل الأسرة الثانية ولد واحد فلا ينطبق عليه نداء هوراتيوس حين يقول Omaior iuvenum وقد عرف أيضا عن الابن الأكبر Lucius Calpurnius Piso الاشتغال بالأدب فقد أراد أن يكتب مسرحية على أساس هوميرى أما ابن Gnaius Piso فكان يشتغل بالسياسة فمن غير المعقول أن يهدى هوراتيوس قصيدته

---

(١) كان الشعر المسرحى منتشراً فى عصر أوغسطس ولكن المحاولات التى قام بها المؤلفون فشلت ولم تكتب سوى مسرحيات عقيمة مقلدة من الأغريق هذا لأن لغة العصر الأوغسطى واحياءه لم تناسبه كما ذكر الأستاذ A. Dalton فى "فن الشعر" ولم يصلنا من هذه المسرحيات سوى أجزاء لكاتب Varius.

راجع : A Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica Pages (50—51).

لرجل لايعنى بالتأليف وقد نادى بهذا الرأى بورفيريون (١) فى القرن الثالث الميلادى فى شرحه وتعليقه لفن الشعر وقد عزز أيضا هذا الرأى فى العصور الحديثة باكتشاف أجزاء محترقة من البردى(٢) فى Herculaneum فى منزل Lucius Calpurnius Piso تحتوى على كتاب عن الشعر للفيلسوف الأبيقورى Philodemus لخص فيه آراء Neoptolemus الكاتب المشائى من بلده باريوم فى بيثينيا ، وقد سهل هذا الاكتشاف على المؤرخين أن يتخيلوا هوراتيوس عضواً فى نخبة من مجتمع أدبى يحضر بن مدرسة الحديقة فى نابولى حيث كان Philodemus أستاذاً أو يجتمع به فى منزل Lucius Piso فى حلقة من الأدباء والشعراء أمثال فرجليوس وجالوس يناقشون فى المذاهب الفلسفية المعارضة للأبيقورية والنفعية المشائية .

وقد أكد اكتشاف هذا البردى أيضاً القصة التى ذكرها Porphyrion بين آراء هوراتيوس فى فن الشعر وآراء Neoptolemus فى تعليقه المعروف الذى لم يكن واضحاً قبل هذا الاكتشاف "Horatius Congessit praecepta Neoptolemi."

ونود أن نشير إلى أن تحديد نوع تأليفه يدل أن هوراتيوس لم يكتب من الوجهة النظرية بحتاً عن الشعر وفنونه أو شرحه وإن كان قد تكلم عن الشعر وشعرائه وأغراضه وعناصره كل نوع من موضوعات وما يتصل به من وزن وقافية ولم يكتب أرسطوجيه يمكن عليها تعريف نوردن انطباقاً كاملا فجعل من نفسه بعد استاذاً يسأل فيجيبه تلميذه الناشئ أو يعلمه أصول الشعر وفنونه . بل كتب رسالة إلى صديق تتصف ببعض مميزات الأرسطوجية وخصائصها وتخضع كما يبين العلماء و النقاد أمثال بروكس

---

(١) كان هذا فى أواخر القرن الثالث الميلادى كتب شرحا وتعليقا على كتابات هوراتيوس مازال محفوظا . وقد طبع هذا فى نسخة A. Holder 1894 وإن لم يكن فى صورته الأصلية . راجع : The Oxford. Classical. Dictionary (Reprinted) 1950 Page 719

(٢) اكتشف (C. Jensen) فقرات من كتابات فيلوديموس فى بحث كتابات فيلوديموس وقد نشرت عدة مرات وأول نشر لها كان فى :

" Cramer's Anecdota e. g, by Dübner, p. XXVI "

ولم يتح لى الاطلاع على المراجع الأصلية لعدم وجودها ولكن راجع :

H. J. Rose, A Hand Book of Greek Literature page 400 footnote 17 & 18

لتقسيم واضح المعالم متأثر إلى حد كبير بتقسيم نيوبتوليموس البارى ، فقد بدأ فن الشعر بنداء أصدقائه وآل بيزوه على نهج رسائله التى يهديها إلى ميكيناس وأغوسطوس وفالا وغير أولئك من الأسماء المعروفة لدى قرائه ، ولو كرر النداء فى ثلاثة مواضع أخرى حتى لا يفقد شكلية الرسالة لطول القطعة .

أما وسط الرسالة فهو استرسال فى سرد ملاحظات أدبية أو هو تاريخ لأنواع من الشعر وخصائص كل منها وما يتعلق بها من وزن ونغم وكلمات وقوانين أو نظريات ، قد ينتقل المؤلف من جزء إلى جزء فى شىء من التفكك الظاهرى ، أو بإهمال جذاب مفرح بدون طريقة معينة ليقودنا إلى معنى من المعانى كما لو كان المرء يكتب أخباراً لصديق فيقدم جزءاً ويؤخر آخر دون أن يفكر كثيراً فى صلة أحدهما بالآخر .

أما نهاية فن الشعر فهى لوحة رائعة للشاعر مجنون ومصرع امبيدوكليس (١)، وهو قورنت هذه النهاية بكثير من رسائل هوراتيوس وأهجياته نجد تشابهاً كبيراً بينها وبين نهايات كثير من الرسائل والأهجيات : فهى إما حوار أو وصف لانتزاع برهان معين أو فكرة أو رأى دقيق فى الأهجية أو الرسالة يعززه فى نهاية هذا الحوار أو الوصف ليأخذ أو ليقتنع به قارئه بطريقة تلقائية إن أراد ذلك دون فرض أو إملاء .

وأعتقد أن هوراتيوس قصد بإنهاء قصيدته بهذا الوصف ليسخر من الشاعرين الذين يعتقدون فى أنفسهم موهبة الشعرية ويرون أن مظهر هذه الموهبة لا يتم إلا بعدم انتظام وعدم حبك دقومهم وبالالتجاء إلى الأماكن

---

(١) امبيدوكليس . فيلسوف وعالم وشاعر وخطيب ولد فى صقلية فى الجزء الأول من القرن الخامس ق. م وقد اهتم بعلم الحياة والطب والطبيعيات واكتشف أن الهواء عنصر يتميز عن الفراغ المحيط بالكائنات واشتهر امبيدوكليس بإرجاع المظاهر الطبيعية إلى أربعة عناصر أصلية هى : التراب – والهواء – والنار – والماء . ارجع :

P. Harvey.

The Oxford Companion to Classical Literature page 158 & The Oxford Classical Dictionary (reprinted 1950) page 314.

المنعزلة فيدون ذلك كله لا ينزل الوحى عليهم وقديتدفقون فى التأمل والتحديق لدرجة الوقوع فى بئر أو هوة فلا يجدون من ينتزعهم منها ،ويؤدى شرودهم المفتعل إلى مصير محتوم . وقد يكون الشاعر جن حقاً بموهبته ونسى نفسه فلقى حتفه وقد يكون فى كامل وعيه فيدفع نفسه إلى الموت دفعاً ليخلد اسمه بميتة خالدة كما يسميها هوراتيوس ؛ هذا كما فعل الفيلسوف امبودوكليس الذى رمى نفسه وهو هادئ الأعصاب فى بركان يحترق .

فهوراتيوس يسخر بهذه اللوحة من الادعاء الذى قد يؤدى إلى الموت أو الموهبة التى قد تؤدى إلى الجنون والموت معاً ويطلب من الشاعر الموهوب أن ينمى موهبته ويصقلها بالدرس والتحصيل والتمرين فتأتى ثمارها شعراً ناضجاً يبلغ درجة الكمال. «فن الشعر» فى نظرى رسالة وقد سميت قديماً باسم «رسالة إلى آل بيزو» ولم تعرف باسمها الحديث إلا فى عهد كونتليانوس الذى أطلق عليها هذه التسمية . ولهذه التسمية مغزاها من رجل له مركزه فى البلاغة والنقد فلا شك أن محتويات الرسالة دفعت كونتليانوس إلى رفعها إلى مستوى البحث العلمى فى فن الشعر فنوه به بهذه التسمية تميزاً لها عن بقية أهجيات هوراتيوس ورسائله النقدية المعروفة .ونواقع أن «فن الشعر» كان تتمة لما بدأه هوراتيوس من إشارات ومحاولات للنقد صاغها فى رسالة كما صاغ آراءه الأخرى فى رسائل وأهجيات من قبل فهى لا تتميز من الناحية الشكلية أو المدلول عن بقية الرسائل فى هذا الصدد إلا أنها أكثر طولا .

أهم خصائص الأيسجوجية التى رآها فيسك من :

١ — استعمال المخاطب الذى يقصد به النوع .

٢ — التدريس بالقدوة أو بالأمثلة الشخصية .

٣ — حديث هوراتيوس عن مثله العليا بإلحاح تعليمى يراه فيسك فى تكرار كلمة Ego ثم الإلحاح والتشديد على ممارسة أى فن أو علم بالدراسة أكثر من الاعتماد على المواهب الطبيعية التى ضرب لها عدة أمثلة وعززها بوصف هوراتيوس الساخر للشاعر المجنون كل هذا رغم وضوحه فى القصيدة

لا يبرر هذه التسمية ، ويمكن الرد على الأستاذ فيلك بسهولة ، فهي أولا تفتقد فى شكليتها حوار الأستاذ وتلميذه والسيطرة العقلية ، ثم إن هوراتيوس وإن كان فى الواقع يملى قوانينه على صديقه ويعلمها للناس أجمع إلا أنه حاول إيجاد جو من الود والاحترام العميق ولم ينس مركزه الاجتماعى الوضيع الذى عانى منه الكثير فى بدء حياته وبعد اتصاله بميكيناس ، ذلك المركز الذى لا يسمح له بمخاطبة آل بيزو ذوى المكانة البارزة بأسلوب المعلم رغم الصداقة القائمة بينه وبينهم .

ولو رجعنا إلى المواضع الأربعة التى نادى فيها هوراتيوس آل بيزو نجد أنه استعمل فى الموضع الأول صيغة الجمع للاسم Piso تأدباً ووصفهم بأصدقائه . « فهل تمتنعون ، يا أصدقائى ، عن الضحك؟ صدقونى يا آل بيزو ، إن الكتاب ذو خيالات فارغة (١) .... »

فلا يمكن أن يتخذ من آل بيزو جميعاً تلاميذ ، ولم يكن الأب على الأقل فى حاجة إلى تلمذته رغم اهتمامه بالأدب إذ كان قنصلا ثم بروقنصل .

وفى الموضع الثانى استعمل صيغة الجمع للاسم Piso أيضاً وأظهر تقديره لهم . يقول هوراتيوس « إن جمهرتنا نحن الشعراء (٢) ، يأيها الأب ويأيها الأبناء الجديرون بهذا الأب نخدع أنفسنا بما هو شبيه بالحقيقة . »

وفى الموضع الثالث استعمل صيغة الجمع من جهة ومن جهة أخرى جعل النصح منسوباً إلى شخصه « لا عن نفسى يا آل بيزو فلو أننى كتبت سانيرات فلن أحب الكلمات الشائعة النائدة ولن أحاول الابتعاد عن اللون الشرجيدى (٣) »

---

(١) مقدمة النص (٥ - ٦)

(٢) (٢٤ - ٢٥)

(٣) (٢٣٥ - ٢٣٦)

وفى الموضع الأخير الذى فرد فيه النداء لأكبر الشبان راعى فى هذا الإفراد أن يكون مزوجاً بالتقدير العميق :

(١) «يا أكبر الشبان سناً خذ هذا القول واذكره رغم ذكائك الذى شحذته التجارب وطورته المعرفة ورغم صوت أبيك الذى أعدك للحق» .

(ثانياً) استعمال المخاطب الذى يقصد به النوع لازمة من لوازم أسلوب هوراتيوس المعروفة فى كتاباته فالأهجيات مليئة بهذا النوع من الاستعمال . والتدريس بالقدوة وبالأمثلة الشخصية هى عادة أيضاً عند هوراتيوس أخذها عن أبيه الذى كان يعتبره المدرس الأول له والمقوم لأخلاقه والحارس الأمين على عقليته وقد تحدث عنها هوراتيوس بصراحة (٢) وقد حذا هوراتيوس حذو أبيه فكان ينقد الحياة ويراز ما فيها من عيوب اجتماعية أمثلة حية. وما كتب فى شعر لم يتمكن من التخلص من هذه العادة التى كانت عند صغره جزء لا يتجزأ من حياته

أما ما ذكره فيما يلى من تلاميذه عن مدرسة أى فن أو علم بالدراسة وحتى عزوه بوجه شاعر تحول فيها ما لم أفهمه من عالمنا الجليل . فالسبب فى كتابة هذه القصيدة لم يكن مجاملة للشاعر الذى كان يتبع . والغرض منها أن يهتم شبان أكبر شاعر غنائى معاصر بمعرفة الشعر الغنائى وقراءته بالدراسة والتحصيل ولم يقصد بها هوراتيوس أن يجعل من دراسة الشعر الغنائى أهميتها على الموهبة الشعرية فقد يوجد الشاعر بوجود الموهبة ولا يستطيع هوراتيوس أو غيره من الناس أن يوجدوا الشاعر ومن هنا حرص هوراتيوس الدراسة على الموهبة الشعرية فهو يقرر أن الشاعر لا يستطيع أن يكون شاعراً بدون اجتماعهما فى تآلف وود وكانت هذه الفكرة عند هوراتيوس فى هذه القصيدة واضحة لا جدال فيها .

وصورة الشاعر الغنائى الذى كانت تعزز الدراسة قسماً قلها مغزى

---

(١) فن الشعر (٣٦٦ – ٣٦٨)

(٢) فى الهجاء الرابع من الكتاب الأول سطر ١٠٣ الخ . وفى الهجاء السادس من نفس الكتاب سطر ٨١ الخ ...

(٣) (٤٠٨ – ٤١١)

تهكمي أراد به السخرية من المتشاعرين والمجانين من الشعراء، فجميع خصائص الأبسجوجية التي ذكرها فيلك أو معظمها على الأقل ملحوظ في عدد كبير من أهجيات هوراتيوس ومع ذلك لا يمكن تسميتها بالأبسجوجيات ، ولعل طبيعة موضوع هذه القصيدة دفعته إلى الإكثار من هذه اللوازم فهي قوانين ونظريات جمعها لعصره وللأجيال القادمة .

ففن الشعر إذن خطاب من الناحية الشكلية ، أما موضوعه فهو قوانين الشعر والشعراء ثم مشكلات أدبية أثارها النقاد قديماً وحديثاً عرضها هوراتيوس دون مقدمات ، يقول : إن تمثيل الفن وتصويره مثل تصوير الطبيعة يجب أن يتميز بالانسجام بين الأجزاء ، فعلى الشاعر ألا يصل أي شيء بآخر لا ينسجم معه، قد يعترض معترض ويقول : إن الرسامين والشعراء يتمتعون بحرية الخيال وهذا حق مكتسب ، ولكن يجب مراعاة الدقة والاعتدال في استعمال هذا الحق . وفي محاولة القيام بشيء صحيح تقع الأخطاء ، فالغموض ينتج عن الإيجاز كما ينتج الاستطراد عن الإسهاب - على الشاعر أن يختار موضوعاً مناسباً لقدرته . أما الكلمات فالحكم فيها هو الاستعمال فقد يجيء الاستعمال كلمات قديمة وقد يميت كلمات لها عزة وزهو . وهناك أوزان للأنواع المختلفة من الشعر سبق أن اتفق عليها وإن كنا لا نعرف أحياناً مخترعها ، فالبحر السداسي التفعيلة للقصص ومخترعه هو هوميروس والإيلجية تعبر عن الشكوى ولا نعرف مخترعها والأيامب للهجاء ومخترعه هو أرخيلوخوس وقد استعمل بعد ذلك التراجيديا والكوميديا ، والشعر الغنائي لقصص الآلهة ، ثم لكل شخصية أسلوبها وخصائصها وعلينا ألا نضيف ألواناً جديدة على شخصيات أبطال صورهم التقليد على نحو معين مثل أخيليس ، وعلى الكاتب ألا يسرف في الموضوعات المألوفة وإذا ابتكر شخصية جديدة فلتكن متكاملة والأفضل التمسك بالقديم ، وعلى الشاعر ألا يبدأ بطريقة مفخمة بل ليسرع إلى موضوعه كما لو كان معروفاً ؛ لكل من خصائص لابد من دراستها حتى لا يسند

إلى الصبي دور الشاب أو إلى الشاب دور الشيخ ، وحوادث المسرحية إما أن تروى وإما أن تمثل وما يرى على المسرح أوقع مما يسمع ولكن على الشاعر ألا يأتي بالأشياء البغيضة إلى النفس أمام الجمهور ، ولتكن المسرحية من خمسة فصول ، وعلى الشاعر ألا ينزل الإله إلا لحل العقدة وألا يشترك في الحوار أكثر من ثلاث شخصيات ، ليحاز الكورس للخير ويلغى ألا يغنى بين الفصول .

إن الموسيقى تطورت وتطورت القيثارة والناى تبعاً لذلك ، على أنه يمكن الجمع في العرض بين الدراما الساترية وبين التراجيديا دون المزج بينهما للترفيه و بنسبة من جهة ولكيلا يستغل أبطال التراجيديا في القيام بالأدوار الهزلية من جهة أخرى . ثم عرض لأوزان الشعر ومواضع استعمال كل منها وملاحظات على النقاد والشعراء إذ بعض النقاد لا يميز بين الشعر الرديء الموسيقي وسليمها ، وإن شعراء الرومان يمتازون بحرية غير محمودة في كتاباتهم والشاعر في حيرة بين ذلك كله فأين يقف من هذه الحرية أخطئ فيغفر له النقاد أم يعمل في حذر فيتجنب اللوم !

والشعر أنواع ولكل نوع مخترع وتاريخ : لقد اخترع Thespis التراجيديا ومثل قصائده على عربات رجال صبغت وجوههم بمثالة النبيذ وجاء بعده Aeschylus واستعمل القناع في التمثيل وغطى المسرح بألواح خشبية . ثم تبعت الكوميديا فقدمتة التراجيديا ولم يعوزها مديح والاطراء والواقع أن شعراء الرومان عالجوا كل أنواع الشعر ولم يكن هذا دون نجاح ، ولو أن كل شاعر منهم يصقل عمله لتفوقت روما في الأدب كما تفوقت في الحرب .

إن خروج الشعراء في حياتهم عن مألوف الناس والمغالاة في ذلك الخروج خطأ ولكن لم يتمكن هوراس من تأليف شعر فإنه سيعلم الآخرين كيف يؤلفونه ، فعلى الشاعر أن يهتم بموضوعه ويجب أن يهدف شعره للمتعة والتعليم وألا يكتب مبالغات وغرائب — وعلى الشاعر أن يتجنب الخطأ وإن كان الخطأ الناتج عن الطبيعة أو عن ضخامة العمل الفني مغفوراً . وليكن الأسلوب مناسباً للموضوع خالياً من الكلمات الزائدة عن الحاجة ، ولا يعترف بالشعر الوسط عند الشعراء ، وينبغي صقل أعمالهم ، والتأني في نشرها ، وللشعراء تاريخ مجيد وموقف مشرف . أورفيوس ، أمفيون ، هوميروس . ترتايوس جعل لهم التاريخ عظمتهم . شرط القصيدة الناجحة أهو الموهبة الطبيعية أم الفن ومن يكون

الناقد وما أهمية هذا النقد ؟ وتنتهى القصيدة بلوحة رائعةللشاعر المجنون ومصرع اميدوكليس .

ومن هذا الملخص يمكن تقسيم فن الشعر إلى تقسيم واضح المعالم .

الجزء الأول (١ — ٧٢) يعالج تأليف الشعر وموضوعاته والصفات العامة التى تخص القصيدة وروابطها العامة .

أما الجزء الثانى (٧٣-٢٩٤) فيعرض للأنواع الأدبية المختلفة تاريخها وقوانينها وشكل القصيدة .

الجزء الثالث (٢٩٥ — ٤٧٦) يحدثنا عن بعض نكت الشعراء ويعطى نصحاً لما يجب أن يفعله الشاعر وما ينبغى ألا يفعله وهذا الجزء يمثل بدوره مزيجاً من مجموعة آراء عن الشاعر .

وقد يظهر من ملخص القصيدة بعض التفكك الذى تهم به هوراتيوس ولكن لو درسنا القصيدة بعناية لرأينا أن التفكك الذى وصفت به ظاهرى فى كثير من المواقع ويمكن إرجاعه إلى أكثر من سبب .

(أولا) كان هوراتيوس يسرد قوانين وملاحظات عن الشعروالشعراء أو يناقش رأياً بحث إليهما بصلة فإذا قدم قانوناً وأخر آخر فمن يمس هذا التقديم أو التأخير الجوهر .

(ثانياً) إن أسلوب هوراتيوس الحى الغنى بالصور والأمثلة يؤدى فى كثير من الأحيان إلى بعض الشرود عن الفكرة الأساسية لقارىء غير حريص على تتبع أفكاره . فهوراتيوس يتطلب عادة من قارئه أن يستبط لنفسه العلاقات الباطنة ويصل هذه الصور الحية المتتابعة بروابط عقلية وينتج وشأنه فى هذا شأن جوفنال الذى تنازع فيه النقاد والعلماء قديماً وحديثاً ووصفوا كتاباته بأنها لا ترتفع عن مستوى موضوعات البلاغة المدرسية

وكاد البعض ينتزع منه لقب الشاعر ومع ذلك أثبت (١) البحث الحديث عظمة جوفنال ونبوغه وبيّن طريقة تأليفه التي لها تركيب ظاهري مفكك تربطه صلات من باطن المعنى .

وقد أضافت قوانين الشعر وقيوده شيئاً من هذا التفكك، فقصيدة فن الشعر خضعت لوزن ونغم وتفعيلة وما إلى آخر ذلك من شروط علم العروض فهما بلغت قوة هوراتيوس على التعبير والترتيب فهو لا يستطيع أن يرتب أفكاره أو يرسلها كما يرتب الناثر كلماته .

ورغم هذا النقد ، لفن الشعر قيمة علمية كبرى فهي مرجع روماني هام لا يمكن الاستغناء عنه ولولاه لفقد العلم الحديث حلقة هامة من تاريخ النقد القديم . ولم يخترع هوراتيوس جميع القوانين التي ذكرها في فن الشعر ولم يؤرخ تاريخاً لأنواع الشعر غير معروف ، ولم يخلق مشكلات تمت للأدب أو الشعر بصلة غير معروفة بل استقى كل هذا من نحويي الأغريق ونقادهم القدامى وعن فلاسفتهم أمثال أرسطو وتأثر بهم تأثراً واضحاً كما تأثر بصفة خاصة بنيوبتوليموس وردد أقوال غيره من كتاب الرومان وشعرائهم أمثال بلوتوس وترنتيوس وشيشرون وكثير من الأدباء والنقاد المعاصرين .

وقد اهتم علماء العصر الحديث وشراح نصوص هوراتيوس بدراسة هذه القوانين وردودها إلى أصولها وبينوا مدى تأثير هوراتيوس بهذه الأصول . كما عالج نقاد العصر الحديث نظرياته وقارنوا بينه وبين القديم ، فقد قرن بروكس مثلا بين فن الشعر لهوراتيوس وكتاب الشعر لأرسطو وقال إن هناك فرقاً بين فن الشعر وكتاب الشعر لأرسطو من ناحية تأثيرهم الأخلاقي والميتافيزيقي كما يوجد هذا الفرق في فايدروس أفلاطون فيما يتصل بهذا التأثير .

---

(١) رسالة الدكتوراه للمؤلف جامعة لندن ١٩٥٠ The Structure of Juvenal's Satires.

وقد ذكر بروكس أيضا الصلة القائمة بين فن الشعر لهوراتيوس وبين آراء نيوبتوليموس ووصل إلى أنه تأثر به كثيراً ولم يتأثر بكتابات فيلوديموس الفيلسوف الأبقوري . وبيّن فيلك وجه الشبه بين فن الشعر لهوراتيوس وبين الكتاب السادس والعشرين للوكيليوس في تخطيطهما البلاغي كما بين مدى تأثره العميق بشيشرون فهو يرى تشابهاً في معالجة الموضوع بين الخطيب « وفن الخطابة » لشيشرون وبين الشاعر « وفن الشعر » . والواقع أن هوراتيوس يهدف إلى الجانب المثالي من الشعر كما يهدف شيشرون إلى الجانب المثالي للخطابة .

تلك هي بعض آراء العلماء الذين تتبعوا آثار هوراتيوس فدرسوها وأصدروا عليها أحكاماً استقرءوها من دراساتهم الطويلة أما مركز هوراتيوس في حياة النقد الأدبي الذي يمثله كتابه فن الشعر ورسائله وأهجياته النقدية فلا يمكن للمرء أن يتجاهله فلم يكن هوراتيوس ناقلا كالعبد الذي لا يجيد شعره عن حرفية ما ينقل ولم يكن جامعاً فقط لما ذكره القدماء والمعاصرون ، بل ناقش وهذّب وأفاض ثم أبرز آراءه مشعلا بنير الطريق في لغة تفيض بالقوة والحيوية ، ولم ينتقص نقل هوراتيوس لهذه الآراء أو مناقشته لها هو معروف ، مركز هوراتيوس كناقد . فهو كغيره من كتاب تلك العصور يتخذ لنفسه في كل لون من ألوان الكتابة نموذجاً يحتذيه فكما نعرف جميعاً اتخذ لوكيليوس نموذجاً له في الهجاء وأرخيلوكوس نموذجاً لأناشيد الايامبوس وألكايوس نموذجاً لشعره الغنائي وفي فن الشعر لم يجد نموذجاً واحداً يعي حاجته فرجع إلى الأغريق نحويهم ونقادهم وفلاسفتهم بصفة عامة وإلى نيوبتوليموس بصفة خاصة وإلى الحياة الأدبية المعاصرة فاستفاد مما كتب قديماً وحديثاً وأكسب كل ذلك ملكية خاصة به وبعض نصوص هوراتيوس النقدية تعرض آراءه الخاصة في الصور الأدبية التي كانت شائعة في عصره والتي كان الأدباء والفنانون يتخذونها وسائل التعبير عن آرائهم وانتقاداتهم وتصويرهم للحياة في مظاهرها المختلفة . ثم إن هوراتيوس لم يغفل المشاركة في المشكلات الأدبية والفنية التي كانت تتنازع في عصره والتي كان يختلف فيها النقاد والأدباء فيتخذ كل منهم موقفاً خاصاً يمثل وجهة نظره . فهل الهجاء شعر أم نثر وما صلة الهجاء

بالمسرحية وما صلته بالمجتمع ؟ ثم ما مقدار الحرية التى يمنحها المجتمع لشاعر الهجاء ؟ وما مقدار الحرية التى تمنح الشاعر فى صوغ الكلمات الجديدة ؟ والخطأ أمغتفر أم غير مغتفر ؟ والشعر الوسط هل يعترف به ؟ إلى آخر ذلك فهوراتيوس فى الواقع يكون جزءاً هاماً من تاريخ النقد القديم .

أما إذا ألقيت ما عهد إليك بطريقة سيئة فسوف أنام أو أضحك.

١٠٥ــ إن الكلمات الحزينة تناسب الوجه الحزين، والمليئة بالتهديدات تليق بالوجه الغضوب، والمرحة تلائم الوجه المرح، أما الكلمات الرزينة فهي للوجه الجاد الرزين، فلقد شكلتنا الطبيعة أولا من الداخل لنواجه أى مظهر من مظاهر الحياة فهي تفرحنا وتدفعنا إلى الغضب أو تغني
١١٠ــ رءوسنا إلى الأرض وتعذبنا بسبب حزن ثقيل ثم تظهر انفعالات النفس متخذة من اللسان مترجما لها . فإذا كانت الكلمات لا تتفق مع حالة الانفعالات الظاهرة سوف يضحك الرومان : مثلهم وفرسائهم ضحكاً عالياً .

هناك اختلاف كبير بين أن يتكلم عبد(١) أو بطل وبين أن يتكلم
١١٥ــ شيخ ناضج أو شاب فى ازدهار حيويته وقوته ، تغلى دماؤه ، وهناك فرق بين أن تتكلم سيدة من طبقة رفيعة ذات جاه وعزة وبين مرضعة دائبة الحركة وهناك فرق بين أن يتكلم تاجر متجول وبين زارع حقل مخضر يبيع وهناك فرق بين الكلدانى أو الأشورى

(١) عبد ترجمة لكلمة دافوس Davus ولقد انقسمت المخطوطات بين قراءتين Divus بمعنى إله و Davus وهو اسم شائع يطلق على العبيد ويكون من القراءتين أنصار . والواقع أن كلا من القراءتين محتملة ولا تلغى القراءة الأخرى فقد أراد هوراتيوس أن يظهر الفرق الموجود فى كلام الشخصيات المختلفة وأثر ذلك تظهران هذا الفرق فهناك فرق بين كلام الإله والبطل وهناك فرق شاسع بين كلام العبد والبطل وإن أرجح القراءة Davus للفرق البين الموجود بين العبد والبطل أما مقارنة البطل الذى كان يعتبر نصف إله فلا يحدث التقابل المنشود لما بينهما من أوجه الشبه وما يعزز هذا الرأى استمرار هوراتيوس فى الثناء كلمات تعبر عن تضاد واضح مثل الشيخ والشاب فى عنفوان شبابه ثم سيدة المجتمع والمرضعة الى آخر ذلك من الأمثلة.

وبين من ترعرع فى أحضان طيبة أو أرجوس . اتبع التقليد أو ابتكر أشياء تناسب بعضها بعضاً .

١٢٠ــ إذا تصادف أن كنت كاتباً لمسرحية تعيد وصف (١) أخيللبس الشريف فليكن نشيطاً غضوباً لاتهزه المشاعر والتوسلات ولا يعترف بأن القوانين قد سنت له ، لا تحكم فيما يدعيه لنفسه إلا بالسلاح ؛ ولتكن ميديا (٢) متوحشة لا تهزم ولتكن ايتو (٣) مهمرة الدموع وليكن إكسيون (٤) غدارا وإيو (٥) متجولة وأوريستس (٦) حزيناً

---

(١) هذه إشارة إلى الشجار بين أخيللبس وأجاممنون .

(٢) Medea هى ابنة آيتيس ملك الكولخيين وقد اشتهرت بالسحر وأحبت ياسون وساعدته على الاستيلاء على الجزة الذهبية وتزوجت ياسون وهربت معه إلى بلاد الإغريق تتبعها أبوها فقتلت أخاها أبسيرتوس وقطعت أوصاله وبعثرتها على أمواج البحر حتى تشغل عنها أبوها فى جمع أشلاء ولده فنجت ميديا وعاشت مع ياسون إلى أن متعها وأحب بنة كريون فانتقمت من زوجها انتقاما شديدا بأن ذبحت ولديها منه وقتلت زوجته الجديدة ثم فرت إلى أثينا فى عجلة تجرها وحوش خرافية ذات أجنحة . راجع :

(A) The oxford classical Dictionary (reprinted 1950) p. 547/548

(B) Harvey, The Oxford Companion To Classical Literature page 263

(٣) Ino هى ابنة كادموس وزوجة أتمس كانت حياتها الزوجية مليئة بالأحزان والهموم ومصائبها متعددة وآخر مصائب أم يها أن زوجها قتل أحد أبنائها وهو فى نوبة جنون فقذفت نفسها فى البحر مع ابنها الآخر . راجع : Athamas

The Oxford classical Dictionary (reprinted 1950) page 112

A. Dalton ,Horace, Epodes And Poetica, notes page 66.

(٤) Ixion هو ملك لابيثا فى تساليا تزوج ديا زوجته وقد وعده زيوس بأن أعطاه ليظهره من هذه الخرية إذ لم يجد من يطهره منه على الأرض حتى أن حصل عليه فخدع له زيوس طيفاً يماثلها وأنجب منها الكينتاور وهو حيوان خرافى وقد عوقب عقابا شديدا بأن شد إلى عجلة لاتكف عن الدوران. راجع : The Oxford classical Dictionary (reprinted 1950) page 466

(٥) Io هى ابنة إينخوس وراهبة خيرة فى أرجوس أحبها زيوس وشكلها فى صورة بقرة حتى يخفى حبه عن هيرا ولكن هيرا عرفت هذا الحب وطلبت منه البقرة فلم يتمكن من الامتناع وعهدت بالبقرة إلى آرجوس ذى المائة عين فأرسل زيوس هيرميز ليقتله ويحرر البقرة ، ولما أصبحت طليقة سلطت هيرا عليها ذبابة تطاردها من أرض إلى أخرى حتى استقرت فى مصر وحولها زيوس إلى صورتها الإنسانية ثانية وأنجبت منه ابنه هو أبافوس . راجع :

The Oxford Classical Dictionary (reprinted 1950) page 456

(٦) Orestes هو ابن أجاممنون وكليتمنسترا وتقول الروايات إنه انتقم لمقتل أبيه فقتل أمه وعشيقها ايجستوس. راجع : The Oxf. Class. Dictionary (reprinted 1950) page 654

١٢٥ــ وإذا عرضت للمسرح موضوعا لم يعالج من قبل وكنت لك الجرأة على إبداع شخصية جديدة فلتحتفظ بها حتى النهاية ولتكن متوافقة

من الصعب أن تعالج مادة شائعة بين الكتاب بأسلوب خاص بك فخير لك أن تقسم قصيدة طروادة (المعروفة) إلى فصول من أن تكون
١٣٠ــ أول من ينتج شيئاً مجهولا لم ينشر على الملأ بعد . المادة الشائعة تصبح حقاً مكتسباً لك لو أنك لم تتلكأ حول الحلبة الرخيصة المفتوحة ، وإذا لم تكن مترجماً أميناً على حرفية الترجمة فتعمّى بنقل كلمة بكلمة .
١٣٥ــ وإذا قلدت فلا تسقط في عاوية فيمنعك الخجل أو تخطيط العمل أن تنقل منها قدمك خطوة إلى الأمام .

ولا تبدأ كما بدأ الكتب تقصصي(١) في العصر القديم : سأغني مصير بريام والحرب المشهورة . أي شيء جدير بقيمه ذلك الذي
١٤٠ــ عملا فمه بالوعود ؟ سوف تشعر الجبال بآلام الخاض ولا تلد سوى فأر مضحك ؛ ولكم هو أكثر صوابا ذلك الذي لا يخطط أي شيء بسخف (ويبدأ قائلا) «أي ربة الشعر حدثيني عن الرجل الذي رأى عادات رجال كثيرين ومدنهم بعد سقوط طروادة فهو لا يفكر في إضاء دخان من الوميض الخاطف بل يفكر في إعطاء ضوء من الدخان لكي يؤلف من هذه أشياء خلابة
١٤٥ــ وعجائب مثـــل أنتيفيس (٢) وسكيلا (٣) وخاريبديس

---

(١) Scriptor Cyclicus أو كوكليوس بالأغريقة هو نوع من الشعراء الذين عاشوا بعد هوميروس من ٧٦٦ ق. م فصاعداً كانوا يروون الإلياذة والاوديسا وقد نظموا ملاحم صغيرة .
راجع : A. Dalton Horace, Epodes & Ars Poetica notes page 68.

(٢) Antiphates هو ملك اللايسترونجين الذي بلع أحد رفقاء اوديسيوس ودمر سفنه ما عدا سفينة واحدة نجا اوديسيوس بواسطتها. راجع : The Oxford Classical Dictionary (reprinted 1950) page 61 واللايسترونجونيون Laestrygones شعب متوحش آكلي لحوم البشر يسكنون إيطاليا .

(٣) اختلفت روايات الأساطير حول قصة سكيلا وتكتفي هذا الملخص Charybdis, Scylla إحدى الصخرتين عاليتين متقابلتين في المضيق بين إيطاليا وصقلية ويحكي في الأساطير أن سكيلا بنت كراتايس وهو حيوان خرافي كانت تعيش في كهف في الصخرة الغربية من إيطاليا . أما في الصخرة المقابلة فقد نبتت فيها شجرة تين تحتها دوامة باسم خاريبديس تبلع ماء البحر ثلاث مرات يوميا ثم تقذفه خارجا ثلاث مرات . والتفصيل أنظر :
أوديسا هوميروس ، الكتاب الثاني عشر (٨٤ الخ)

وكيكلوبس (١) ولايبدأ عودة ديوميديس (٢) من موت ملياجر (٣) أو حرب طروادة من البيضتين التوأمين (٤) فهو دائماً يسرع إلى الحادثة ويسرع بسامعه إلى وسط قصته كما لو كانت معروفة لديه ويترك الأشياء التي عالجها ويئس من استطاعته أن يجعل لها بريقاً وعلى ذلك يخترع وبهذه الطريقة يمزج الزائف بالصحيح حتى يتفق أول القصة مع وسطها وينسجم وسطها مع نهايتها .

واستمع الآن إلى ماأشتاق ويشتاق الناس إلى رؤيته على المسرح . لو ردت مصفقاً ينتظر حتى تسدل الستار ويجلس في مقعده إلى أن يقول المغني «هيا صفقوا» عليك أن تتعرف على عادات كل عمر وتعطي الطبائع المتغيرة والسنين المسات الجميلة اللائقة بها . الطفل الذي يعرف كيف ينطق (٥) بالكلام ويمشي على الأرض بقدم ثابتة يفرح للعب مع أقرانه ويغضب ثم يتخلى عن غضبه بغير تعقل ويتغير من ساعة إلى أخرى . أما الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد ، فإنه يجد سعادته في الخيل والكلاب وعشب ساحة الإله مارس المشمسة بعد أن انتهت مهمة حارسه ، وهو مرن

---

(١) Cyclops نوع من امردة لهم عين واحدة مستديرة الشكل وقد اختلف الكتاب في وصفهم وفيما يتصل بهم من أساطير . راجع :

The Oxf. Class. Dictionary reprinted 1950" page 247

(٢) Diomedes هو ملك أرجوس وأحد أبطال حرب طروادة ورجوع ديوميديس الذي يشير إليه هوراتيوس إما من حرب طروادة أو العزوة التي قام بها أدراستوس وأصوانه السهة غير ثابتة .

راجع : A. Dalton Horace, Epodes & Ars poetica notes 63 — 69

(٣) Meleager هو ابن أوينيوس ملك كاليدونيا وأحد الأبطال الذين اشتركوا في رحلة ياسون على السفينة أرجو للبحث عن الجزء الذهبية وقد اشتهر ملياجر بقتل الوحش المتوحش الذي كان يغير ويروع في كاليدون وإن كانت هناك روايات عنه . راجع :

The Oxf. Class. Dictionary (reprinted 1950) page 554

(٤) بيضتا ليدا وقد ولدت من أحداهما هيلين ومن الأخرى كاستور وبولوكس . راجع :

A. Dalton Horace, Epodes & Ars poetica, notes page 69.

(٥) يقصد هوراتيوس بكلمة Voces الكلام فالطفل الذي يطلق أصواتا فقط لا يمكنه أن يطأ الأرض بقدم ثابتة تترك أثرها عليه كما يقصد بهذا التعبير الأخير المشي فالمعب مع الأقران هو النحو الذي ذكره هوراتيوس يحدث في مرحلة متقدمة نوعا ما من الطفولة .

كانشمع يسهل ثنيه نحو الرذيلة خشن مع ناعميه بطيء فى بعد نظره
١٦٥ـ للنافع من الأشياء مبذر شامخ الرأس له نزعات قوية ، سريع
فى ترك ما قد أحب . أما فى سن الرجولة وقد تغيرت ميول المرء
وأهدافه فان عقله يسعى وراء الثروة وتبحث نفسه عن الصداقات ويصبح
عبداً للمراكز العامة فى الدولة ويخشى أن يأتى شيئاً يعمل على تغييره
فى التقريب العاجل . أما المسن فتحيط به مضايقات عدة إما لأنه يسعى
١٧٠ـ وراء خير وإذا ظفر به ذلك الرجل النعس امتنع عنه وخشى من
الانتفاع به وإما لأنه يدير جميع أموره بخوف وبرود وهو متباطئ
ومتوان فى تحديد أمله ، كسول طامع فى حياة أطول ، صعب دائب
لشكوى مداح للأزمنة الماضية حين كان صبياً ، موبخاً لمن هم أصغر
١٧٥ـ منه سناً ورقيباً عليهم . إن السنين المقبلة تجلب الكثير من النعم وتأخذ
الكثير تلك التى تدبر وتنحدر نحو النهاية . وسوف تتمهل دائماً
فى معرفة الصفات المتصلة بكل عمر والمناسبة له حتى لا تعهد بالصدفة
دور الشيوخ للشباب وأدوار الرجل الناضج للغلام .
١٨٠ والحادثة فوق المسرح إما أن تمثل أو تروى وما يصل إلى عقولنا
عن طريق السمع أقل تأثيراً على المشاعر مما يطرح تحت الأبصار
وأقل تأثيراً مما يوصله المتفرج إلى عقله بالمشاهدة ومع ذلك عليك
ألا تجلب على المسرح ما يجب أن يؤدى فى الخلف وعليك
أن تبعد عن أعيننا الكثير مما سوف يحكيه الممثل شخصياً للمشاهدين .
١٨٥ـ فلا تدع ميديا تقتل أولادها أمام الجمهور أو أتريوس (١) الشنيع

---

(١) Atreus هو ابن بيلوبس وهيبوداميا تزوج من أكثر من امرأة : (كليولا ، أيروبيا ثم بيلوبيا) وقد قتل أخاً له غير شقيق وفر مع أخيه الذى ساعده فى القتل إلى ميكينا حيث استقبل بحفاوة وبعد أن مات ملك ميكينا خلفه أتريوس على العرش ثم اكتشف اتريوس أن أخاه قد أغرى زوجته أيروبيا ، فقتلها ، فأرسل أخوه ثوستيس بن أتريوس الذى كان قد وهبه ثيثن أبناء لكن أتريوس قتله دون أن يعلم أنه ابنه ثم تظاهر بالصلح مع أخيه وطلب منه العودة إلى ميكنى فقتل أتريوس بدوره ولدى أخيه وطهى لحمهما وقدمه إلى أبيهما على المائدة فأكل اللحم دون أن يعرف ثم هرب ثويستيس وأزلت الآلهة اللعنة على أتريوس وبيته .وقد أصابت الملكة أتريوس عجرفة شديدة فنصحته الكاهنة أن يستدعى ثويستيس ترحل باحثا عنه حتى نزل ضيفا على ملك سيسيون وتزوج من بيلوبيا ابنة أخيه معتقدا أنها ابنة الملك وأغرى اقتل أتريوس.

راجع : (A) The Oxf. Class. Dictionary (reprinted 1950) Page 117 Seqq. (Atreus)

(B) Harvey, The Oxford Companion to Classical literature (Pelegs) page311

يطهى لها آدمياً أو بروكنيه (١) تتحول إلى طير أو كادموس (٢)
إلى ثعبان فما تريني إياه من هذا النوع وبهذه الطريقة أمقته ولا أؤمن به:
١٩٠ــ لتكن المسرحية التي يريد الشاعر أن تطلب ثانية ويعاد عرضها مكونة
من خمسة فصول لاتنقص عنها ولا تزيد ولا تسمح بتدخل إله ما لم
تكن هناك عقدة تستحق الإله المنقذ ولا تسمح لشخصية رابعة
أن تحاول الكلام أثناء الحوار .

ولتدافع المجموعة عن دور الممثل وواجبه الممثلي بالرجولة وعليه
ألا يتغنى بين فصول المسرحية إلا ما ينفع تخطيط المسرحية وهدفها
١٩٥ - وما ينسجم مع هذا التخطيط والهدف . وعلى المجموعة أن تتحيز
للأخيار وتنصح بود وتقمع الغاضبين وتحب الذين يخافون المعصية
ولتمتدح وجبات المائدة المتواضعة والعدالة والقانون والسلام بأبوابه
٢٠٠ــ المفتوحة ، ولتكتم الأسرار التي عهدت إليها وتتضرع للآلهة
وتتوسل أن يعود الحظ للتعساء ويبعد عن المتعالين .

---

(١) Procne هي بنت بانديون ملك أثينا تزوجت من تريوس ملك تراقيا ... تريوس أن يروكنيه ماتت وطلب من أبيها إرسال أختها فيلومينا فلما وصلت اغتدى عليها ثم قطع لسانها حتى لاتحكي ماحدث وقد طرزت قصتها على قطعة نسائل ونجحت في إرسالها إلى أختها فلما عرفت بروكنية بالأمر قتلت ابنها أتيس وقدمت لحمه لأبيه تريوس وحين علم تريوس بمت تعقب بروكنيه ولكن الآلهة حولته إلى هدهد وحولت بروكنيه إلى بلبل وفيلومينا إلى عصفور . وبعضهم يعكس أي أن فيلومينا تحولت إلى بلبل وبروكنيه إلى عصفور . راجع :

The Oxf. Class Diction. (reprinted 1950) (Philomena p.683).

(٢) Cadmus هو ابن أجنور ملك صور في فينيقيا وقد أرسله أبوه يبحث عن أخته يوروبا التي خطفها زيوس ولما عجز عن العثور عليها استشار كهنة دلفي . فأشار عليه أبولو أن يتبع بقرة معينة حتى تسقط من الإعياء فيبني مدينة في البقعة التي سقطت فيها البقرة ، وقد قادته البقرة إلى مكان طيبة حيث بنى قلعة الكادمية التي أصبحت فيما بعد قلعة طيبة ولكي يجد ماء قتل حيوانا خرافيا من سلالة آريس وقد نصحت أثينا بعد أن قتلت وحوشه أن يبذر أسنان الوحش الخرافي على الأرض فبذرها على الأرض فنبتت منها رجال مدججون بالسلاح قتل بعضهم بعضا ولم يبق منهم سوى خمسة اختير منهم الطيبيون . راجع :

The Oxf. Classical dictionary (reprinted 1950), page 151

لم يكن الناى ، كما هو الآن ، مقيداً بالنحاس ومنافساً للبوق بل كان
ضئيلا بسيطاً ذا فتحات قليلة وكان بعزفه نافعاً للمجوعة ومساعداً
٢٠٥ـ لها كما كان نافعاً لملء المقاعد التى لم تكن قد ازدحمت بعد والتى يأتى
إليها عدد من الناس ، يعد لقلته ، لا يشرب الخمر ، طاهر حيي .

وبعدأن بدأ المنتصر يمد حقوله ومحيط المدن بأسوار أعرض عن ذى قبل
٢١٠ـ ويهدئ فى الأعياد الروح (١) التى تلازمه بشرب خمر فى واضحة
النهار دون عقاب ، اكتسبت الموسيقى والأوزان حرية أكبر ، فأى
ذوق ينتظر من رجل جاهل أصبح طليقاً بعد انتهاء مشاغله وأى ذوق
ينتظر من جمهور امتزج فيه الريفى بالحضرى والرعاع بالنبلاء ؟
وعلى هذا أضاف عازف الناى إلى فنه القديم الحركة والمغالاة
٢١٥ـ وأخذ يتجول فى الجزء الأمامى من المسرح وهو يجر (أذيال) ثوبه
وهذا أيضاً نشأت أوتار جديدة للقيثارة الرزينة وجلبت البلاغة المندفعة
كلاما غير مألوف ولم يختلف الفكر السديد المتصف بالحكمة والخاص
بالنافع من الأمور ، والمتنبئ بالمستقبل عن تنبؤات دلفى .

٢٢٠ـ والشاعر (٢) الذى تنافس بشعره التراجيدى من أجل جدى رخيص

---

(١) Genius كان القدماء يعتقدون أن هناك روحا تحمى الإنسان ويرى البعض أن الإنسان روحا خيرة وأخرى شريرة يلازمانه منذ الولادة وكانت هذه الأرواح تعبد فى الأعياد ، خاصة أعياد الميلاد وتقدم لها قرابين من الخمر والزهر الخ ... : راجع :
A Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica notes page 74

(٢) يقصد هوراتيوس Thespis الذى قيل جائزة عام ٥٣٤ ق.م فى أثينا . تقول بعض المراجع إنه من ايكاريا وهو أول ممثل ظهر منفصلا عن المجموعة وقد ليس قناعا من كتان ساعده على القيام بأدوار متعددة إذ أنه كان يبدل القناع فى كل دور . وما يراه هوراتيوس من أن ثيسبس اخترع التراجيديا سطر ٢٧٥ الخ) غير صحيح لأن ثيسبس لم يخترعها بل اخترع المسرحية بوجه عام ولم يأنف تحبس مسرحياته حول عربات كما وصف هوراتيوس ويقول المعجم الكلاسيكى فى ذلك لعل هذا الوصف نشأ من اللبس الموجود بين التراجيديا القديمة والكوميديا القديمة . راجع :
The Oxf. Class. Dictionary (1950) (reprinted 1950) Page 899.

أما كلمة تراجيديا فمشتقة من تراجوس الإغريقية ومعناها جدى وهناك ثلاثة آراء فى نشأة التراجيديا وعلاقتها بالجدى .

سرعان ما أظهر ساتيرات الغابة سافرة على المسرح وحاول التكته بخشونة دون أن يمس وقاره بالأذى إذ أن عليه أن يحتفظ بانتباه المتفرج لمدة أطول بمغريات وابتكار جذاب فهو في حالة شديدة من السكر لا يعي معها أي قانون بعد أن قدم قرابينه، بهذه الطريقة

٢٢٥- تأتي الفرصة المناسبة حقاً لتطلق ساتورياتك الضاحكة المثرثرة على المسرح وتحول الجد إلى هزل حتى لا يستغل إله أو بطل في القيام بالأدوار الجزئية وقد شوهد منذ لحظة في ثوب ملكي أرجواني اللون مزركش بالذهب وحتى لا يهبط من هذه العظمة إلى مستوى الخانات الغامضة بكلام رخيص وحتى لا يظل ممسكاً بسحب أو الفضاء

٢٣٠- في الوقت الذي يترفع فيه عن الأرض، فلا يليق بالتراجيديا أن تقول أبياتاً تافهة فهي كسيدة المجتمع الرفيع حين يطلب منها أن ترقص في الأعياد. تختلط بساتيرات الغابة في شيء من الحياء.

٢٣٥- أما عن نفسي، يا آل بزو، فلو أني كتبت ساتيرات فلن أحب لأسماء والكلمات غير المتعمقة الشائعة السائدة ولن أحاول الابتعاد عن ألفاظ التراجيدي للدرجة التي لا أفهم معها فيما إذا كان المتحدث هو فوس(١) أو بيثياس(٢) الجريئة التي كسبت مبلغاً من المال بمداعبة سيدها

أولا : كان يتنافس شعراء التراجيديا كل عام في عيد ديونيسوس هو جدي على أنه ساتيرة هذا النوع من الشعر وهو ما أسماه هوراتيوس.

ثانيا : إن مجموعة من تقي في أعياد ديونيسوس كانت تلعب دور الجزء الخرافية تعرف بالساتيرا وهي تشبه الجن وترى البعض أن التسمية نشأت من هذا.

ثالثا : إن هوريان نفسه كان يقدم في هذه المناسبة كان جد... وجع.

(A) The Oxford Class. Dictionary (reprinted) 1950 page 915 Seqq. (Tragedy)

(B) Harv... The Oxford Companion to Classical Literature page 434

(C) عن الشعر للدكتور مويس عوض هامش ٤٦ ص ١٢٨-١٢٩

(١) Davus هو اسم شائع يعني عبد في الكوميديا.

(٢) Pythias هو اسم في نهاية ذهبت عبدها سيمو وكسبت منه مبلغا من المال عثرت به حريتها.

سيمو أم كان المتحدث سيلنوس (١) حارس ابن الإله أو خادمه ،
٢٤٠ـ فغايتى هى نظم شعر يتخذ مادته من المألوف على نحو يجعل الطامع
فى الوصول إلى مثله يرتد من محاولاته الجاهدة دون جدوى . فما أعظم
الأثر الذى يحدثه تسلسل الكلمات وقوتها وما أجل الشرف الذى
تضفيه الصياغة على ما اختاره المرء من واقع المألوف .

٢٤٥ـ وأرى أن التيوس (٢) التى اجتلبت من الغابات ينبغى ألا تكون
كمن ولد فى مفترق الطرق أو كمتشردى الأسواق (الفورم) وينبغى
ألا تمثل أدوار الشباب بأشعارها الرقيقة أو تتشدق بأقوال بذيئة
لاحياء فيها فإن الفرسان والشيوخ والأغنياء ليتأذون من ذلك ولا
يقبلون بشعور الرضا والاستحسان ما يوافق عليه مشترى الفول
٢٥٠ـ المحمص أو البندق كما أنهم لا يمنحون أكليلا .

المقطع الطويل الذى يعقب مقطعاً قصيراً يسمى أيامب وهو تفعيلة
سريعة ومن هنا اقتضت الأيامب أن تسمى الأيامبيات تترامبات
رغم أنها من ستة إيقاعات (٣) وتتكرر التفعيلة إلى آخر البيت
على نسق واحد .

---

(١) Silenus تختلف روايات تقدمه وأرصافهم عن سيلينوس، وسيلينوس أصلا نوع من مخلوقات الغابة له ذنب وأذنا فرس . ويطلق اسم سيلنوس على مؤدب باخوس إله الخمر وخادمه (راجع المعجم الكلاسيكى اكسفورد طبعه ١٩٥٠ تحت) (Satyrs & Silani) . ص ٧٩٧ .

(٢) هى ترجمة لكلمة Fauni وهى أصلا أرواح الريف والغابات وقد نشأ منها عبادة Faunus الذى يطابق Pan وهو الذى يحمى المحصول والماشية ويعتبر ال Fauni نوعا من مخلوقات الغابة التى يطابقها الساتيرا لدى الإغريق . راجع :

A Dalton, Horace Epodes & Ars Poetica notes page 77. & The Oxf. Class. Dictionary page 358

(٣) هذا لأن كل تفعيلتين تكونان . metrum

ولم يمض وقت طويل حتى سمح الأيامب للتفعيلة السبوندية الرزينة
٢٥٥- أن تدخل ضمن حقوقها الموروثة لكي تصل إلى الآذان بشيء من البطء والتثاقل فهي مناسبة وثابتة على ألا تقع التفعيلة السبوندية في المركز الثاني أو الرابع من التفعيلات إذا اشتركت مع التفعيلة الأيامبية في تكوين هذا البحر .

ويظهر الأيامب نادراً في تراجيات أكيوس النبيلة ويشكل أشعار
٢٦٠- إبنياس تهمة شائنة : هي عدم العناية والجهل ، تلك التي أرسلها للمسرح والتي تجر معها حملا ثقيلا .

ولا يميز أي ناقد تشاء ، القصائد اللاموسيقية وقد منح الرومان حرية
٢٦٥- للشاعر وتساهلوا عن أخطائه تساهلاً غير لائق ، فهل قياساً على هذا أخطىء وأكتب دون قيد ؟ . وإذا اعتقدت أن جميع النقاد سيرون أخطائي أكون سالماً وحذراً يحوطني أمل التسامح والعفو عن هذه الأخطاء ؟ في هذه الحالة أتجنب اللوم ولكني لا أستحق الثناء .

قلبوا بأيديكم نماذج الإغريقية ليلا نهاراً ، ولكن قد
٢٧٠- تقولون «إن أسلافكم مدحوا موسيقية بلوتوس وملحة» وحتى لا أصف إعجاب الأسلاف ببلوتوس بالسخف : أقول إنه كان إعجاب صابر الذي يفوق صبره الحد ؛ لو أننا — أنا وأنتم — عرفنا فقط كيف نميز بين ما هو غير مصقول وبين ما هو جذاب معجب . وإذا عرفنا بالتجربة كيف نميز نغم المشروع بآذاننا وأصابعنا .

٢٧٥- يروى عن شيبس أنه اكتشف نوعاً من الشعر لم يكن معروفاً من قبل خاصاً بربه (١) التراجيديا وأنه قد نقل قصائده على عربات ليلقيها وتمثلها رجال صبغت وجوههم بحثالة النبيذ وجاء بعده

---

(١) ارجع الى هنش (٢) ص١٧٨ .

أيسخيلوس (١) مخترع القناع والثوب الجميل وغطى المسرح
٢٨٠- بألواح خشبية وعلّم الممثلين الكلام الفخم والمشى بالحذاء العالى .
تبعت الكوميديا القديمة هؤلاء مباشرة ولم يعوزها المدح والإطراء
العظيم ولكن الحرية التى استعملها كتاب الكوميديا وقعت فى رذيلة
وعنف يستحقان أن يقمعا بقانون (٢) ، وقد رحب الكتاب بهذا
القانون وسكتت المجموعة خزية بعد أن سلب منها حق الإيذاء .

٢٨٥- لم يترك شعراؤنا شيئاً لم يعالجوه وحين جرءوا على عدم اقتفاء أثر
الإغريق والاحتفاء بالأحداث الرومانية سواء أولئك الذين أنتجوا
تراجيديات يلبس فيها البرايتكستا أم كوميديات يلبس فيها التوجا ،
فاستحقوا شرفاً ليس بالقليل ، ولو أن كل شاعر آلمته مهمة صقل
٢٩٠- شعره وتهذيبه لما تفوقت لاتيوم فى الشجاعة والأسلحة الشهيرة
على اللغة . فيا أبناء بومبيليوس (٣) ، أديبنوا أية قصيدة لم تخضعها
الأيام العديدة للتنقيح الشديد وتعرضها عشرات المرات لاختبار دقيق
كاختبار النحات بآلته لتكشف الثوء الشاذ فوق المرمر الذى يشكله .

٢٩٥- ولأن ديموقريتوس(٤) يعتقد أن الموهبة الطبيعية أسعد حظاً من
الفن التعس وأبعد الشعراء أصحاء العقول من هليكون (٥) ،
لم يهتم عدد كبير من الشعراء بتقليم أظافره أو قص لحيته وأخذ يبحث
عن الأماكن الخفية ويتجنب الحمامات ، لسوف يفوز المرء الجائزة

---

(١) الشاعر اليونانى العظيم الذى ينسب إليه أول عمل تراجيدى .

(٢) لقد صدرت عدة قوانين فى هذا الصدد عام ٤٤٠ ق . م ، وعام ٤١٥ ق.م الخ .

(٣) نسبة إلى نوما بومبليوس

(٤) ديموقريتوس الأبديرى الفيلسوف العظيم الذى مات ٣٥٧ ق . م

(٥) جبل فى بيوتيا ، وفقا للأساطير كان يؤمه ربات الشعر

الشاعر ولقبه إذا لم يعهد إلى الخلاق(١)لوكيتوس برأسه الذى لاتستطيع
٣٠٠ــ الأتكريات الثلاث(٢) شفاءه .

آه لحمقى أنا الذى أطهر عصارتى (٣) الزائدة قبل بدء الربيع فنولا ذلك التطهير لما نظم رجل آخر قصائدأفضل. ولكن ليس هناك حقاً ما يستحق هذا التقدير العظيم . وعلى هذا سأقوم بدور الرحى التى
٣٠٥ــ تستطيع أن تشحذ الصلب وهى فى حد نفسها سليبت القدرة على القطع فنى الوقت الذى لا أكتب فيه بنفسى شيئاً سأعلم وظيفة الشاعر وواجبه ، من أين يأتى بالمصادر،ما يغذى الشاعر وما يشكله ، ما يليق به وما لا يليق ، إلى أين تقود الفضيلة وإلى أين يقود الخطأ. إن الذكاء الذى أرشدته المعرفة وطورته(٤) التجربة هو منشأ الكتابة وينبعها .
٣١٠ــ وآراءه(٥)استوعبها يمكن أن تدلك على المادة فإذا ما توفرت المادة أتى الكلمات فى غير امتناع .

هو الذى يتعلم ما يجب نحو وطنه وما يجب نحو أصدقائه وأى نوع من الحب عليه أن يحب أباه وأخاه وزوجته وما واجب القاضى
٣١٥ــ والقاضى وما هى مهمة القائد الذى أرسى للحرب يعرف حقاً كيف يضفى على كل شخصية ما يلائمها

إن لأمر المقصد الذى أرشدته (٦) المعرفة وحنكته التجارب أن يهيئ لنفسه نموذجاً من الخير والعدالات يستقى منه بغزارة حديثه

---

(١) كان ملاكا مشهورا فى ذلك الوقت يجيد الأمور التوضيحية .

(٢) الأتكريات الثلاث هى جبل الأعشاب التى تنتجها بيدة الثلاث نوعة من شيح كورفك تعالج الجنون والعدد ثلاثة ليس له مغزى .

(٣) كانت زيادة العصارة تعتبر سببا للجنون وتطهير معصورة بالقدة معده لابعاده عن الجنون

(٤) هذه الترجمة تحليل لكلمة Sapere التى لايمكن ترجمتها فى لفظ واحد .

(٥) ترجمة لكلمة Scripta ويعنى ما كتبه أفلاطون وغيره من آراء سقراط .

(٦) هى ترجمة لكلمة Doctum التى أرجعتها من حيث اشتمال الفكرى إلى مصدرها الأول وهو Sapere فقد توافر لمكاتب الذكاء والمادة وقوة التمييز وأتسع مدركا لما يحيط به .

٣٢٠– في بعض الأحيان تدخل السرور على الناس بطريقة أقوى قصتها فقرات
بارزة صورت شخصياتها تصويرا صحيحاً وإن كانت خالية من أية جاذبية
وإن كانت دون وزن أو فن وتستحوذ عليهم وتثير اهتمامهم لمدة
أطول مما تثيره أبيات من الشعر خالية من المادة أو مما تثيره ترانه رنانة
منحت ربة الشعر الإغريق الموهبة والقدرة على التعبير (١) المتكامل
٣٢٥– والتشوف إلى المجد وحده . يتعلم الصبية الرومانيون كيف
يقسمون الآس (٢) إلى مائة جزء بمسائل طويلة فلو طرحت
أوقية من خمسة أوقيات فماذا يتبقى؟ ليجب ابن ألبانوس : في
استطاعتك أن تكون قد أجبت «الثلث» حسن ، سوف تتمكن
من المحافظة على أملاكك ، أضف أوقية (على خمسة أوقيات) ماذا
٣٣٠– يكون الناتج ؟ النصف (٣) . ولكن حين يلوث
الصدأ والاهتمام بقتاء ملك خاص نفوسنا فهل نأمل
في ابتكار قصائد تستحق أن تطلى (٤) من الخلف بزيت البندق
٣٣٥– أو تحفظ في علب من السرو المصقول . يهدف الشعراء إما نفع
أو إدخال السرور أو نقول صار ومناسب للحياة ويمكن موجزاً حين
تعلم أي شيء حتى تسبق العقول المتنبهة فهم كلماتك السريعة وتعيها

---

(١) هي ترجمة One rotundo التي شرحها الأستاذ A. Dalton بالعبارات المكتملة من نواحيها المختلفة A Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica page 84

(٢،٣) الآس عملة رومانية وتساوي ١٢ أوقية وتقسيم الآس إلى مائة قسم هو مثل سهل المنال لا الحصر وهل هذا لو طرحت $\frac{1}{12}$ من $\frac{5}{12}$ تساوي الثلث ولو أضفنا $\frac{1}{12}$ الى $\frac{5}{12}$ يساوي النصف كما ذكر هوراتيوس .

(٤) شرح أ. دالتون طلاء قصائد بالزيت من الخلف فقال إن ظهر الكتاب كان عادة يطلى بزيت البندق ويقصد به على ما أضيف الصحائف الجلدية التي كانت تجلب من برجامون وتطلى بالزيت من الخلف .

بأمانة وإخلاص فكل مازاد عن الحد يسيل من الصدر المستكّ .
وليكن ما ابتكر لغرض الإمتاع قريباً من الحقيقة حتى لا تختار
القصة أي شيء وتطلب الثقة به وحتى لاتستخرج طفلا حياً من بطن اللاميا (١) وقد انتهت من التهامه .

إن كثيرين من الكهول يقصرون عن المسرح ما لامغزى له أو نفع وقبيلة الرامنيس المتغطرسة تحتقر القصائد الخشنة . لقد نال استحسان الجميع وموافقتهم من مزج النافع بالممتع بإدخال السرور على قارئه وبنصحه على السواء . هذا هو الكتاب الجدير بجلب نقود لبائعي الكتب أمثال آل سوسيوس ، هذا هو الكتاب الذي يعبر البحر ويقترح امتداد الخلود لكاتبه المعروف لزمنة طويلة .

توجد أخطاء من النوع الذي تحب أن تعفو عنه . الوتر لا يؤدي النغم الذي تريده يد العازف أو عقله فكثيراً ما ينتج نغماً حاداً حين يضرب منه نغماً ثقيلا والقوس لا يصيب دائماً ماتهدد بإصابته . في القصيدة التي يشرق العدد الأكبر من أجزائها لا تؤذيني قطعاً بقع قليلة نتجت عن إهمال أو عجزت الطبيعة بعض الشيء عن تجنبها . فالذي يؤذيك إذا ؟

كما أن ناسخ الكتب ينتقد العثور إذا ما ارتكب نفس الخطأ دائماً رغم التحذير منه وكما أن عازف القيثارة الذي يغطي نفس الوتر يضحك منه الناس كذلك الشاعر الذي يهمل ويخطيء كثيراً ، يصبح في نظري كوثيريلوس (٢) المعروف الذي نتعجب بضحكة لإجادته بيتا أو بيتين في قصيدته ، وأتألم أيضاً حين يغفو

---

(١) اللاميا هية تأكل الأطفال وكلمة لاميا أصلا كانت تطلق على ملكة في ليبيا كانت تتصف بالقسوة الشديدة راجع :
A. Dalton Horace Epodes & Ars Poetca page 85

(٢) هو شاعر ردىء تبع الاسكندر وكتب عن أعماله راجع :
The Oxford. Classical. Dictionary (reprinted 1950) page 187. (Choerilus (3) Iliensis) ما لتحقير .

هوميروس الذى يجيد الكتابة(١) ومن حق الخمرة ، لاشك ، أن تتسلل فى عمل طويل .

القصيدة مثل الصورة ستجد تلك التى تأخذ بلبك كلما ازددت قرباً منها وأخرى كلما ابتعدت عنها ، هذه تحب الظلام وتلك التى لاتخشى عين الناقد النفاذة وفهمه الحاد تحب أن ترى فى الضوء ، هذه تسرك مرة واحدة وتلك تسرك مهما رجعت إليها عشرات المرات .

يا أكبر الشبان سناً ، خذ هذا القول واذكره رغم ذكائك الذى شحذته(٢) التجارب وطورته المعرفة ورغم صوت أبيك الذى أعلنه للحق ، من المسلم به أن أشياء معينة لها توسط وطاقة محدودة لا يمكن أن تتعداه . رجل القانون أو المحامى من الدرجة الثانية ليست له منزلة مساوية (٣) البليغ وقدرته وجدارته وتفوقه ولا يعرف القدر الذى يعرفه أولوس كاسكيليوس(٤) ومع ذلك له قيمته ولكن لم تعترف الناس ولا الآلهة ولا بائعو الكتب بالشعر الوسط عند الشعراء ، فكما أن نحن الشاذ والدهان السميك وبذور تى الثوم التى تقدم مع خمر سرديناليا (٥) توذينا فى مأدبة لطيفة لأن المأدبة تستطيع أن تتم بدونهم ، كذلك القصيدة التى نظمت وابتكرت لارضاء النفوس إن هى نزلت قليلا عن قمة المجد سقطت فى الهاوية .

إن من لايعرف كيف يلعب يتجنب أدوات الرياضة فى ساحة الإله مارس وليجهله باستعمال الكرة أو الطوق أو الحلقة يقبع فى هدوء

---

(١) ترجمة لكلمة bonus التى يمكن تشكيلها حسب السياق

(٢) ترجمة لكلمة sapis ارجع لشرح كلمة Sapere ص ٤٧

(٣) هو معاصر وصديق لهوراتيوس وخطيب بليغ برز فى ميدان السياسة

(٤) رجل ضليع فى القانون وقد مات فى أوائل عصر أوغوسطوس ، راجع :

A. Dalton Horace, Epodes & Ars Poetica Page 86,87 (Messla; Cascellius.)

(٥) لأنه ردىء .

حتى لا تضحك منه الحلقة المكتظة دون أن يتعرض للوم أو تقريع .
من لا يعرف كيف يقرض الشعر يجرؤ أن ينظمه لم لا ؟ فهو حر ،
وحر المولد وفوق كل هذا مقيد في السجلات ضمن من يمتلكون
ثروة الفارس (١) وأبعد عن كل رذيلة .

٣٨٥– لن تقول شيئاً ولن تفعل شيئاً مما لم توافق الطبيعة (٢) عليه وتقبله ،
هذا هو حكمك ، هذا هو عقلك وتفكيرك . ومع ذلك إذا كتبت
شيئاً يوماً ما فلينقد أولا إن كان ماكيوس الدقيق وابن آذان أبيك
وآذاننا ولتخفه وتضع محوطته (٣) في الداخل حتى العام التاسع .
٣٩٠– وسوف يحل لك حينذاك أن تنشره ما يشرعه . فالصوت الذي أرسله
صاحبه لا يعرف العودة .

خوّف أورفيوس المقدس ، مترجم ، آلهة الرجال حين كانوا يمكنون
الغابات من سفك الدماء ومن هنا جاء مثلهم المتوحش القائل إنه روض النمور
والأسود الكاسرة وقال عن أمفيون مؤسس طيبة إنه حرك
٣٩٥– الأحجار بصوت قيثارته وقاد حيث شاء بتوسلاته [illegible]

كانت هذه هي حكمة [illegible] أن تميز بين العام والخاص
من الأشياء وبين المقدس [illegible] وتمنع عن الاتصال الجنسي
المثلي . وتعظي الحقوق [illegible] وتضع قوانين وتخطط
٤٠٠– المدن وتحفر القوانين على ألواح خشبية . لهكذا جاء الشعر والشعراء
شرف الألوهية واسمها . بعد هؤلاء ظهر هوميروس الذي فاز شهرة
بأشعاره ، نفوساً مليئة بالرحولة من حروب طروادة وكذلك فعل
تيرتايوس . وبالأشعار قيلت النبوءات وبالأشعار وضح طريق الحياة .

---

(١) ٤٠٠٠٠٠ سسترسيس

(٢) id est adversante et repugnante natura بدل شائع فحواه لتيرنس invita Minerva
ولقد ترجمناه بهذا المعنى . ومبررنا هي إلهة الحكمة عند الرومان التي تحمي الحرفيين والفنون .

(٣) من الجلد للكتابة عليها

٤٠٥ــ واستعطاف الملوك حاوله الشعراء بأنغام بيريه (١) واكتشف الإنسان اللعب ووضع حداً لعمل مضن طويل وقد ذكرت لك كل هذا حتى لا تكون ربة الشعر صاحبة القيثارة وحتى لا يكون أبولو إله الغناء مصدراً للخجل لك .

ولقد تساءل الناس هل القصيدة الجديرة بالمدح نتيجة الموهبة الفطرية أو الفن . (إذا سألتنى عن رأيى) فإنى أرى أن الدراسة لا تنفع بدون
٤١٠ــ عرق غنى من الموهبة (٢) الطبيعية ، والموهبة الفطرية غير المصقولة لا تجدى بدون دراسة . فكل منهما يتطلب عون الآخر ويتآلف معه فى صداقة ووود . من يحرص فى سباق على أن يصل إلى هدف طالما تمناه ، عانى الكثير وقام بالكثير فى صباه ، عرق وانخض وامتنع عن الحب والخمر .

٤١٥ــ الرامز الذى ينشد القصائد فى الألعاب البيثية تعلم من قبل وخاف من أستاذه . ليس يكاد أن يقال إنى أنظم قصائد مدهشة . إن الجرب ليصيب (٣) المتخلف فى السباق وإنه لمن العار أن أكون متخلفاً وأن أعترف بأنى أجهل تماماً ما لم أتعلمه .

٤٢٠ــ الشاعر الغنى بخنوه وثروته يمكن يستخدمه فى الربا يأمر المتملقين بالذهاب إليه فيكسب . هو كالمنادى الذى يدفع حشداً من الناس لشراء سيماته . وإذا كان من النوع الذى يستطيع أن يقدم على مائدته عشاء دسماً أو أن يضمن فقيراً رقيق الحال أو ينتزع رجلا اشتبك فى شجار أو وقع فى قضية قائمة ، سوف أعجب لو عرف هذا السعيد
٤٢٥ــ كيف يميز بين الصاحب الحقيقى والمتملق .

---

(١) الأنغام البيريه هى أنغام ربات الشعر والإشارة هنا إلى بنداز وسيمونيدس .

(٢) يقصد بكلمة Natura هنا ingenium وهى الموهبة الطبيعية .

(٣) هذا المثل نجده أيضاً فى سيرك حتى لا يتخلفوا عن غيرهم فى السبق . راجع :
A. Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica (notes) page 89.

وأنت إذا كنت قد أعطيت نعلا أو تريت أن تعطى لشخص ما هدية
فلا تجره وراءك وهو فى نحرة فرحته ليستمع إلى ما نظمت من شعر
فسوف ينادى بأعلى صوته «جميل» «حسن» «متقن» وسيشحب لونه
٤٣٠ شحوباً يفوق الوصف تأثراً بها وقد تصل به الدرجة إلى أن يستجدى
قطرات الدمع من عينيه الودودتين ويرقص ويضرب الأرض بقدميه
كالنادبات (١) المأجورات فى تشييع جنازة يقلن ويفعلن أكثر
ممن يحزن من قلبه، وعلى هذا النحو يبدى المتملق الساخر تأثراً يفوق
تأثر المعجب الحقيقى . يروى عن الملوك أنهم كانوا يلحون بكئوس
عديدة على من يسعون إلى سبر أغوار نفسه ويدفعونه للشرب لاختباره
٤٣٥ بخمر خالصة من الماء لمعرفة ما إذا كان جديراً بصداقتهم . فإن نظمت
قصائد فلا تخدعنك مطلقاً النفوس التى تختفى وراءها مكر الثعالب .
لو أنك أنشدت شيئاً من شعرك على كونتليان لقال لك صحح هذا
وهذا أرجوك ، فاذا أجبت بعدم إمكانك أن تنظم أفضل منه بعد أن
٤٤٠ حاولت مئى وثلاث بدون جدوى أمرك أن تسقطه من القصيدة
وأن تعيد إلى السجل الأبيات التى أسأت صياغتها فإن فضلت الدفاع
عن خطئك عن إصلاحها لا يضيف كلمة واحدة ولا يبذل مجهوداً
غير مثمر بل يتركك لتعجب بنفسك وبشعرك وحيداً بدون منافس .
٤٤٥ فالشاعر (٢) الأمين الفطن ينقد الأبيات التى لا حياة فيها ويخطئ
الغليظة منها ويضع علامة سوداء بحد قلمه الثقيل أمام غير المصقولة
منها ويتخلص من المزينات التى ترمى للتأثير فقط ويرغم نفسه لإيضاح
ما قل وضوحه ؛ يدين القول الذى يلتبس فهمه ويعلم على ما يجب

---

(١) وكن يسمين Praeficae .

(٢) السياق هنا يتجه إلى الكلام عن الشعراء وقد ترجمنا كلمة Vir بالشاعر .

٤٥٠ـ تغيره فهو يجعل من نفسه أرستارخوس ولا يقول (لنفسه) كما يقول البعض حين يطلب منهم نقد شاعر فلم أجرح صديقاً فى توافه . هذه التوافه تقود الشاعر إلى ضرر جسيم إن سخر منه مرة ولقى استقبالا مشئوماً .

والشاعر المجنون كالجرب الذى ينغص على المرء حياته أو كمرض الملوك(١) أو كالكاهن الذى يحوم فى المعبد وقد مسه جنون من وحى
٤٥٥ـ سبيل أو بلاونا أو من غضب ديانا . يخاف العقلاء أن يلمسوه ، ويهربون منه وتعاكسه الصبية وتتعقبه دون حذر . أما هو فبينما يلفظ أبياتاً من الشعر وهو رافع رأسه ، فلو أنه سقط فى بئر أو هوة عميقة كصقر يحدق فى طيور سوداء ـ فإنه مهما يصح أغيثونى : أى إخوانى
٤٦٠ـ المواطنين فإنه لن يجد من يهتم برفعه من تلك البئر وإذا اهتم أحد بمد المساعدة له أو بإدلاء حبل له (فسأقول) . كيف تعرف إن كان قد ألقى بنفسه إلى هذا المكان وهو فطن تذكر أو إن كان لا يرغب عن الإنقاذ .

٤٦٥ـ سوف أقص عليك نهاية الشاعر الصقلى امبدوكليس(٢) فقد ألقى بنفسه إلى بركان أيتنا المحترق وهو هادئ الأعصاب حين أراد أن يعتبر مخلداً ، فليكن للشعراء حق إفناء أنفسهم ، ليحل لهم هذا الأمر فمن ينقذ شخصاً بغير رغبته فهو يفعل عين ما يفعله القاتل . ولا يفعل الشاعر هذا مرة واحدة ، وإن كان هو قد جر من هذه الهوة فهل يصبح فى النهاية إنساناً مثل غيره من الناس ويترك حبه لميته مشهورة .

٤٧٠ـ ولا يظهر لى بوضوح كاف السبب الذى يدأب من أجله على نظم

---

(١) مرض الملوك إما الصفراء أو الغرس فكلاهما يحتاج إلى الفصادة والتركون إلى الراحة والمال وقد سمى بهذا الاسم نظراً لتوفر كل هذه الأشياء للملوك .

(٢) قصة موته التى وصفها هوراتيوس مشكوك فيها .

الشعر وعما إذا كان نجس رماد (١) أجداده بالبول أو حرك وهو نجس ، قرباناً حزيناً ضحى لهذه مكان ملعون نزلت عليه صاعقة من السماء . وعلى كل حال إن الرجل جن جنونه وهو كالدب إن استطاع كسر قضبان قفصه الحديدية المنيعة يدفع الجاهل والعالم
٤٧٥ على الهروب من تلاوة أشعاره فإن هو انتزع أحدهم عنك به ويقتله بالقراءة فهو مصاص للدماء لا يكاد يترك جلدة فريسته إلا ملبثاً بالدم .

(١) كان الرومان يحرقون جثث الأموات .

(١) النصوص والقواميس

H. A. Dalton, Horace, Epodes & Ars Poetica, 1933.

H. R. Fairclough, Horace, Satires, Epistles & Ars Poetica (Loeb Edition) 1936

P. Harvey, The Oxford Companion To Classical Literature 1951.

The Oxford Classical Dictionary, (reprinted) 1950.

(٢) المراجع

J. W. H. Atkins, Literary Criticism in Antiquity 1934.

B. Bosanquet, History of Aesthetic 1892.

S. H. Butcher, Aristotle's Theory of Poetry and Fine Art. 1895.

L. Cooper, Aristotle on the Art of Poetry 1913.

J. D. Denniston, Greek Literary Criticisms, 1924.

E. Egger, Essai sur L'histoire de la Critique Chez les Grecs 1885.

G. C. Fiske, Lucilius & Horace, 1920

W. R. Roberts, Greek Rhetoric and Literary Criticism 1928.

J. H. Rose, A. Hand book of Greek literature (fourth edition) 1950

J. H. Rose, A. Hand book of Latin Literature (third Edition) 1954

G. Saintsbury, History of Criticism and Literary Taste 1900

E. Sandys, History of Classical Scholarship 1903

E. E. Sikes, The Greek View of Poetry 1931

W. K. Wimsatt & J. R. Brooks. Literary Criticism 1957